

جامعة أسيوط.

كلية الآداب.

قسم اللغة العربية وآدابها.

الدرر البهية في التعريف بالبلاغة العربية.

محاضرات في المدخل إلى البلاغة العربية.

الفرقة الأولى - كلية التربية - قسم اللغة العربية - معلم المرحلة
الإعدادية والثانوية.

جمع وإعداد:

د/ أيمن عبد العظيم أحمد سيد.

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة أسيوط.

(٢٠٢٥ - ٢٠٢٦ م)

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على
نبينا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحابه والتابعين،
وبعد...

فهذه محاضرات لطلاب الفرقة الأولى شعبة معلم
الإعدادي والثانوي، قسم اللغة العربية، في البلاغة
العربية، نرجو من (الله) أن تنفعهم وتكون نبراسًا لهم في
طريق البلاغة العربية، وعلى الله قصد السبيل.
والله الموفق والمستعان.

د/ أيمن عبد العظيم أحمد سيد.

قسم اللغة العربية – كلية الآداب - جامعة أسيوط

(٢٠٢٥ – ٢٠٢٦ م).

أولاً: في نشأة البلاغة العربية:

في مفهوم الفصاحة والبلاغة ونشأة علم البيان:

أولاً: في الفصاحة وما يتعلق بها:

وهي في الاصل تنبئ عن الظهور والابانة (يوصف بها المفرد) مثل كلمة فصيحة (والكلام) مثل كلام فصيح وقصيدة فصيحة. وهي :البيان والظهور، قال الله تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي ...} (١)، أي أبين مني منطقاً وأظهر مني قولاً . وأفصح العجمي : تكلم بالعربية . وفصح : انطلق لسانه بها وخلصت لغته من اللكنة . وأفصح الصبي في منطقته : فهم ما يقول في أول ما يتكلم . تقول : أفصح فلان ثم فصح ، وأفصح عن كذا : لخصه . وأفصح لي عن كذا إن كنت صادقاً أي : بين . وفلان يتفصح في منطقته إذا تكلف الفصاحة.

والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني: عبارة عن الألفاظ البيّنة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها. فالفصاحة تشمل الكلمة ، والكلام، والمتكلم ، فيقال : كلمة فصيحة ، وكلام فصيح ، ومتكلم فصيح، والفصاحة (تورث الكلام حسناً) وفي قوله (تتبعها) إشارة الى ان تحسين هذه الوجوه للكلام عرضي خارج عن حد البلاغة ، والى ان هذه الوجوه انما تعد محسنة بعد رعاية المطابقة ، والفصاحة وجعلها تابعة للبلاغة الكلام دون المتكلم لأنها ليست مما تجعل المتكلم متصفاً بصفة.

فصاحة الكلمة والكلام والمتكلم:

١ - سورة القصص، (٣٤).

فصاحة الكلمة: تكون الكلمة فصيحةً إذا كانت مألوفة الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء، وغيرهم لأنها لم تتداولها ألسنتهم ولم تجر بها أقلامهم إلا لمكانتها من الحُسن باستكمالها عناصر الجودة ، وصفات الجمال .

شروط فصاحة الكلمة :

يجب أن تكون الكلمة سالمةً من عيوب ثلاثة، وهي: (أ) تنافر الحروف (ب) الغرابة (ج) مخالفة الوضع والقياس.

- تنافر الحروف:

فهو ثقلُ الكلمة عند وقعها على السمع وصعوبة أدائها باللسان ، إنه وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها نحو كالظشّ (للموضع الخشن)، ونحو: سَلَجَ (سَلَجَ اللُّقْمَةُ بالكسر، يَسْلَجُهَا سَلَجًا وَسَلْجَانًا، أي بَلَعَهَا) ، و كالنقنقة « لصوتِ الضفادعِ » ونحو ما روي عن أعرابي حين سأل عن ناقته فقال تركتها ترعى الهعخع. وقيل : إن قرب المخارج سبب للثقل المخل بالفصاحة للكلمة وإن في قوله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) ثقلاً قريباً من المتناهي فيخل بفصاحة الكلمة ، لكن الكلام الطويل المشتتل على كلمة غير فصيحة لا يخرج عن الفصاحة ، كما لا يخرج الكلام الطويل المشتتل على كلمة غير عربية عن أن يكون عربياً ؛ وفيه نظر ، لأن فصاحة الكلمات مأخوذة في تعريف فصاحة الكلام من غير تفرقة بين طويل وقصير ، على أن هذا القائل فسر الكلام بما ليس بكلمة ، والقياس على الكلام العربي ظاهر الفساد ولم سلم عدم خروج السورة عن الفصاحة ، فمجرد اشتمال القرآن على كلام غير فصيح بل على كلمة غير فصيحة مما يقود الى نسبة الجهل او العجز الى الله تعالى

عن ذلك علوا كبيرا. ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم والحس الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

- الغرابية:

وهي كون الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى الموضوع لها، وذلك كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، (نحو) مسرج في قول العجاج: ومقلة وحاجبا مزججا اي مدققا مطولا (وفاحما) أي شعرا اسود كالفحم (ومرسنا) أي انفا (مسرجا أي كالسيف السريجي في الدقة والاستواء) وسريج اسم قين تنسب اليه السيوف (او كالسراج في البريق) واللمعان. وذلك لسببين: أحدهما أن الكلمة غير متداولة في لغة العرب ، فيحتاج لمعرفة معناها الرجوع إلى المعاجم والقواميس مثال ذلك قول عيسى بن عمرو النحوي وقد سقط عن دابته فالتفَّ حوله الناس فقال : ما لَكُمْ تَكَأَكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأُكُوكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ ؟ اَفَرَنْقَعُوا عَنِّي، فكلمة (تكاكأتم) وكلمة (افرنقعوا) غريبتان ، أي مالكم اجتمعتم تتحوا عني (٢).

- مخالفة الوضع (ضعف التأليف) :

وهو كون الكلمة مخالفة لما ثبت معناه عند علماء اللغة مثل (الأجل) في قول أبي النجم:

٢ - تاج العروس - (ج ١ / ص ١٩٧) ولسان العرب - (ج ١ / ص ١٣٦) والإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ // // // الواحد الفرد القديم الأول (٣).

فإن القياس (الأجل) بالإدغام، و لا مسوغ لفكّه، فهو يريدُ الأجلّ وأظهر
التضعيف ضرورةً (٤)، وكقول المتنبي ... [ففي الناس بوقات لها و طبول
[. و القياس في (البوقات) هو (أبواق). هذا بالإضافة إلى الكراهة في
السمع .

فصاحة الكلام (٥).

تكون فصاحة الكلام بسلامته من عيوب ثلاثة وهي:

(أ) تتنافر الكلمات (ب) ضعف التأليف (ج) التعقيد.

١- تنافر الكلمات: وتنافر في الكلمات المكونة للعبارة فلا يكون اتصال
بعضها ببعض مما يسبب ثقلها على السمع ، وصعوبة أدائها باللسان ،
(وإن كان كل جزء منها على انفراده فصيحاً) كالشطر الثاني في قول
الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قَرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ (٦)

و كالشطر الأول في قول أبي تمام:

٣ - خزانة الأدب - (ج ١ / ص ٢٨٧) وصبح الأعشى - (ج ١ / ص ٢٨٨) وصبح الأعشى - (ج ١ / ص ٢٨٨)
والإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ١) والصحاح في اللغة - (ج ١ / ص ٩٨) والخصائص -
(ج ١ / ص ٢٠٥)

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ١) وتاج العروس - (ج ١ / ص ٦٩٤٣) ولسان العرب - (ج ١ / ص ١١٦)

٥ - انظر الإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ٢-١) و كتاب الكليات — لأبي البقاء الكفوي - (ج ١ / ص ٣٥٠)

٦ - محاضرات الأدباء - (ج ٢ / ص ١٠٤) وسر الفصاحة - (ج ١ / ص ٣٣) والمثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر - (ج ١ / ص ١٠٥) والبيان والتبيين - (ج ١ / ص ٢٠) والإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ١)

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لَمَتُهُ لَمَتُهُ وَحَدِي

(7)

فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ أَمَدَحُهُ ثِقَلًا مَا لَمَّا بَيْنَ الْحَاءِ وَالْهَاءِ مِنْ تَنَافُرٍ. وَقَوْلُهُ:
حَمَامَةٌ جَرَعَى حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي..... فَانْتَ بِمَرَأَى مِنْ سَعَادٍ
وَمَسْمَعٍ.

فَالْتَنَافَرُ يَأْتِي مِنْ إِضَافَةِ حَمَامَةٍ إِلَى جَرَعَى، وَجَرَعَى إِلَى حَوْمَةٍ، وَحَوْمَةٍ
إِلَى الْجَنْدَلِ.

٢- ضَعْفُ التَّأْلِيفِ:

هُوَ خُرُوجُ الْكَلَامِ عَنْ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْمَطَّرَدَةِ الْمَشْهُورَةِ ، كَأَن يَكُونَ الْكَلَامُ
جَارِيًا عَلَى خِلَافِ مَا اشْتَهَرَ مِنْ قَوَانِينِ النُّحُوِّ الْمَعْتَبَرَةِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ
- كَوَصْلِ الضَّمِيرَيْنِ، وَتَقْدِيمِ غَيْرِ الْأَعْرَافِ مِنْهُمَا عَلَى الْأَعْرَافِ- مَعَ أَنَّهُ
يَجِبُ الْفَصْلُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ - كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانَ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنْمَارُ^(٨).
وَالْعَيْبُ أَعَادَ الضَّمِيرَ فِي بَنُوهِ عَلَى أَبِي غِيلَانَ وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ لَفْظًا وَرَتَبَةً
،لأنه مفعولٌ به ، ورتبته التأخيرُ
وَكَقَوْلِ حَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

^٧ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - (ج ١ / ص ١٩) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه - (ج ١ / ص ٢٠٢) وزهر الآداب وثمر الألباب - (ج ١ / ص ٣٦٣) وسر الفصاحة - (ج ١ / ص ٣٥) والإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ١)

^٨ - زهر الأكم في الأمثال والحكم - (ج ١ / ص ١٦٤) وصبح الأعشى - (ج ١ / ص ٢٩١) والأغاني - (ج ١ / ص ١٥٨) وتاج العروس - (ج ١ / ص ٢٩٧٣) وجامع الدروس العربية للغلابيني - (ج ١ / ص ١٤٩)

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ، أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ
مُطْعِمًا^(٩).

والعيبُ فيه أنَّ الشاعر أعاد الضميرَ في مجده على مطعم، وهو متأخرٌ
لفظاً ورتبةً، لأنه مفعولٌ به، ورتبته التأخيرُ. وهو أيضاً أن يكون الكلامُ
خَفِيَ الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخيرِ الكلمات أو تقديمها عن
مواطنها الأصلية أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاورَ ويتَّصلَ
بعضُها ببعض، فإذا قلتَ: "ما قرأ إلا واحداً محمدٌ مع كتاباً أخيه" كان هذا
الكلامُ غبرَ فصيحٍ لضعفِ تأليفه، إذ أصله "ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتاباً
واحداً، فَقُدِّمَتُ الصِّفَةُ على الموصوفِ، وفُصِّلَ بين المتلازمين، وهما أداةُ
الاستثناء والمستثنى، والمضافُ والمضافُ إليه. ويشبه ذلك قول أبي
الطيب المتنبّي (١٠):

أَنَّى يَكُونُ أبا الْبَرِيَّةِ آدَمُ وَأَبُوكَ وَالثَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ (١١).
والوضعُ الصحيحُ أن يقولَ: كيفَ يكونُ آدمُ أبا البرية، وأبوك محمد، وأنتَ
الثقلان؟ يعني أَنَّهُ قد جَمَعَ ما في الخليقة من الفضل والكمال، فقد فَصَّلَ بين
المبتدأ والخبر وهما "أبوك محمد"، وقَدَّمَ الخبر على المبتدأ تقديمًا قد يدعو

^٩ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - (ج ١ / ص ١٨٥) وجامع الدروس العربية للغلاييني - (ج ١ / ص ١٤٩) وشرح ابن عقيل - (ج ١ / ص ٤٩٦) المعنى: يريد أنه لا بقاء لأحد في هذه الحياة مهما يكن نافعا لمجموع البشر.

^{١٠} - تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبّي - (ج ١ / ص ٢٦) وشرح المشكل من شعر المتنبّي - (ج ١ / ص ١٢) وشرح ديوان المتنبّي - (ج ١ / ص ٤١) والوساطة بين المتنبّي وخصومه - (ج ١ / ص ٢٦)

يقول: كيفَ يكونُ آدمُ أبا البرية وأبوك محمد وأنتَ الثقلان أي أنك جميع الإنس والجن يعني أنك تقوم مقامهما بغنائك وفضلك وهذا كما يروى أن أبا تمام قال لأحمد بن أبي دؤاد لما اعتذر إليه أنت جميع الناس ولا طاقة لي بغض جميع الناس فقال له ما أحسن هذا المعنى فمن أي أخذته قال من قول أبي نواس، وليس لله بمستنكر، أن يجمع العالم في واحد، وفصل أبو الطيب في هذا البيت بين المبتدأ والخبر بجملة من مبتدأ وخبر

^{١١} - الثقلان: الإنس والجن، البيت من قصيدة طويلة في مدح شجاع بن محمد الطائي.

إلى اللبس في قوله "والثقلان أنت"، على أنه بعد التعسف لم يسلم كلامه من سُخْفٍ وهَذَرٍ.

٣- التعقيد: وهو نوعان : التعقيد اللفظي ، والتعقيد المعنوي:

التعقيد اللفظي: هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به – بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني. وينشأ ذلك التعقيد من تقديم أو تأخير أو فصلٍ بأجنبيٍّ بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض كقول المتنبي :

جَفَحْتُ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شَيْمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَّ دَلَائِلُ
(١٢)

أصل – جفخت (افتخرت) بهم شيم دلائل على الحسب الأعز هم لا يجفخون بها.

ومثل : (ما قرأ إلا واحداً محمد مع كتاباً أخيه) كان هذا الكلام غير فصيح، لأن فيه تعقيداً لفظياً ، ولكن التعبير الفصيح هو (ما قرأ محمد مع أخيه إلا كتاباً واحداً).

ولا يخفى البيت الشهير للفرزدق: وما مثله في الناس الا مملكا..... أبو أمه حي أبوه يقاربه

أي ليس مثله في الناس (حي يقاربه) أي احد يشبهه في الفضائل (الا مملك) أي رجل اعطى الملك والمال يعنى هشاما (أبو امه) أي ابو ام ذلك

١٢ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - (ج ١ / ص ٢٦) والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - (ج ١ / ص ٥٨) و صبح الأعشى - (ج ١ / ص ٢٧٥)

فإن لفظة جفخ مرة الطعم، وإذا مرت على السمع اقشعر منها، وكان له مندوحة عن استعمالها، فإن جفخت بمعنى فخرت وهما في وزن واحد، فلو أتى بلفظ فخرت ويفخرون مكان جفخت ويجفخون لا ستقام وزن البيت وحظي في استعماله بالأحسن، فهو في ذلك كتابط شراً في لفظة جحيش في توجه الملامة عليه من وجيهن.

الملك (أبوه) أي أبو إبراهيم الممدوح أي لا يماثله أحد إلا ابن أخته وهو هشام.

التعقيد المعنوي: وهو أن يَعْمَدَ المتكَلِّمُ إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلماتٍ في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يُريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع، ومن ذلك قول امرئ القيس في وصفِ فرس (١٣):

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ (١٤).

الخَيْفَانَةُ في الأصل الجرادة، ويريدُ بها هنا الفرس الخفيفة، وهذا لا بأس به وإن كان تشبيهُ الفرس بالجرادة لا يخلو من ضعفٍ، أمّا وصفُ هذه الفرس بأنَّ شعرَ ناصيتها طويلٌ كَسَعْفِ النخل يُغْطِي وجهها، فغيرُ مقبول؛ لأنَّ المعروف عند العرب أنَّ شعرَ الناصية إذا غَطَّى العينين لم تكنِ الفرسُ كريمةً ولم تكنْ خفيفةً. ومنَ التعقيدِ المعنويِّ قول أبي تمام:

جَذَبْتُ نَدَاهُ غَدْوَةَ السَّبَبِ جَذْبَةً فخرٌ صريعاً بين أيدي القصائد (١٥).

فإنه ما سكتَ حتى جعل كرمَ ممدوحه يخرُّ صريعاً وهذا من أقبح الكلام. فصاحةُ المتكَلِّم (١٦).

١٣ - شرح أدب الكاتب - (ج ١ / ص ٨٠) والوساطة بين المتنبي وخصومه - (ج ١ / ص ٣) وسر الفصاحة - (ج ١ / ص ٩٠) ونهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ٣ / ص ٧٥) وصبح الأعشى - (ج ١ / ص ٢٦٩) وتراجم شعراء موقع أدب - (ج ١٠ / ص ٤٠٧) وتاج العروس - (ج ١ / ص ٥٨٤٥) وتاج العروس - (ج ١ / ص ٥٩١١) ولسان العرب - (ج ٩ / ص ١٠١)

١٤ - الروع: الفزع، السعف جمع سعفة: وهي غصن النخل.
١٥ - الندى: الجود. وخمر صريعاً: سقط على الأرض. وانظر سر الفصاحة - (ج ١ / ص ٤٩) وتحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر - (ج ١ / ص ٧٩)

١٦ - انظر الإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ٣) وكتاب الكليات - لأبي البقاء الكفوي - (ج ١ / ص ٣٥١)

عبارة عن الملكة التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح، في أي غرض كان. فيكون قادراً - بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه - على صياغة الكلام، والتفنن فيه، ويكون متمكناً من التصرف في ضروبه ، بصيراً بالخوض في جهاته ومناحيه.

ثانياً: في البلاغة وما يتعلق بها:

البلاغة فعالة مصدر بُلغ بضم اللام كفقه وهو مشتق من بُلغ بفتح اللام بلوغاً بمعنى وصل وإنما سمي هذا العلم بالبلاغة لأنه بمسائله وبمعارفها يبلغ المتكلم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوي سجية يحاول تحصيلها بهذا العلم صاغوا له وزن فُعْل بضم العين للدلالة على السجية فقالوا علم البلاغة فإن المتكلم إذا تكلم فإنما اهتمامه بأن ينقل ما في ضميره إلى ذهن سامعه فهو محتاج قبل كل شيء إلى معرفة اللغة التي يريد أن يخاطب بها من مفرداتها وكيفية تركيبها فإذا لم يعلم ذلك لم يكد كلامه أن يفهم وهذه المعرفة تحصل له من علم اللغة والنحو والصرف. البلاغة لغة: فقد وردت في لسان العرب : "

هي الوصول والانتهاء ، من بَلَغ الشيء بُلُوغًا : وصل وانتهى ، وقولهم : بَلَّغْتُ الغاية : إذا انتهيت إليها ، وبَلَّغْتُها غيري ، ومَبْلَغ الشيء : منتهاه ، والمبالغة في الشيء : الانتهاء إلى غايته . وجاء في لسان العرب : البلاغة : الفصاحة ، والبَلُغ والبَلُغ : البليغ من الرجال ، و رجل بَلِيغ و بَلُغ و بَلُغ : حسن الكلام فصيح ، يَبْلُغُ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه" .

و المدرك للعلاقة الوطيدة بين البلاغة و الفصاحة يجزم أن كل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً ، فالفصاحة إذا جزء من البلاغة.

وقد تعددت تعريفات البلاغة، وتنوعت عند النقاد القدماء ، فهي عند "الجاحظ" (ت ٢٥٥ هـ) تأتي « بمعنى الخطابة وكثيرا ما كان يستعملها مرادفة للبلاغة ، وهي عند "السكاكي" (ت ٦٢٦ هـ): « بُلُوغُ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقًّا ، و إيراد التشبيه و المجاز و الكناية على وجهها "فالسكاكي" أول من ذكر أقسام علم البلاغة صراحة.

ويُعَدُّ "الخطيب القزويني" (ت ٧٣٩ هـ) أبرز من عرّف البلاغة في كتابيه : (التلخيص) و (الإيضاح): " البلاغة صفة في الكلام و المتكلم فقط ، فالبلاغة في الكلام : مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف، فإنَّ مقامات الكلام متفاوتة ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام ، وارتفاع شأن الكلام في الحُسْنِ والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب ، و انحطاطه بعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب " .

" و البلاغة في المتكلم مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على تأليف كلام بليغ "، فَعُلِمَ أَنَّ كل بليغ فصيح و لا عكس ، وأنَّ البلاغة مرجعها إلى أمرين :
- الاحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد.
- تمييز الفصيح من غيره.

- بلاغة الكلام والمتكلم:

تقتصر البلاغة على المتكلم والكلام فقط؛ فلا توجد كلمة بليغة بمفردها، ولكن تظهر بنظمها في العبارة، فهي أحد الأجزاء المهمة لبلاغة الكلام والمتكلم.

وبالبلاغة في اللغة (الوصول والانتهاء)، يقالُ بَلَغَ فلانٌ مراده - إذا وصل إليه، وبلغَ الركبُ المدينةَ - إذا انتهى إليها، وبلغَ الشيءَ منتهاه .

وتقع البلاغة في الاصطلاح وصفاً للكلام، والمتكلم فقط، ولا توصف «الكلمة» بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك. وهي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثرٌ خلابٌ، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يُقال فيه، والأشخاص الذين يُخاطبون، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال. والبلاغة هو العلم بالقواعد التي بها يعرف أداء جميع التراكيب حقها وإيراد أنواع الشبيه والمجاز والكناية على وجهها وإيداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام. والبلاغة: حسن العبارة مع صحة الدلالة. والبلاغة: إيجاز من غير عجز و إطناب من غير خلل.

بلاغة المتكلم: ملكة يُقَدَّر بها على تأليف كلامٍ بليغ، إذن: التخصيص يكون باعتبار اللفظ، وهي ملكة يُقَدَّر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، وهذا يميز مكان ومحل الملكة بلفظ الفصاحة الذي هو المعرف، وكذلك في البلاغة، وتلك غايةٌ لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خُبراً، وعرف سُننَ مخاطبتهم في مُنافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم وشكرهم، واعتذارهم، ليوائم بين الحالة وما تتطلبه منه "ولكلِّ مقام مقال". وسئل بعض العلماء ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز. وقال آخر: البلاغة إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع، ولذلك سميت بلاغة. ويمكن تحديد مفهوم البلاغة بأنها:

وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز، وتأدية المعنى أداءً واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع مناسبة كل كلام للمقام الذي يقال فيه، وللمخاطبين به.

عناصر البلاغة: يمكن أن نتلمس من أقوال العلماء عناصر البلاغة، وهي:

اللفظ - المعنى - تأليف الألفاظ على نحو يمنحها قوة وتأثيراً وحسناً، ثم الدقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام، وموضوعاته، وحال السامعين، والنزعة النفسية التي تسيطر عليهم.

بلاغة الكلام: وهي أن يكون الكلام مطابقاً لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة الفاظ مفرداته ومركباته، فلو تكلم في حال الفرح مثل ما يتكلم في حال الحزن، أو العكس، أو تكلم في حال الفرح بكلام يتكلم به في هذه الحال لكن كانت الفاظ غير فصيحة، لا يسمى الكلام بليغاً. ثم إن الامر المقتضى للإتيان بالكلام على كيفية ما، يسمى:

١- (مقاماً) باعتبار حلول الكلام فيه. ٢- (حالاً) باعتبار حالة المخاطب أو المتكلم أو نحوهما. والقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى (مقتضى) فقولهم: (مقتضى الحال) أو (مقتضى المقام) بمعنى الكيفية التي اقتضاها الحال أو المقام.

فمثلاً: يقال عند كون الفاعل نكرة، حين يتطلب المقام التأكيد: هذا الكلام مطابق لمقتضى الحال. إذاً: فالحال والمقام شيء واحد، وإنما الاختلاف بالاعتبار.

وقد عرّف (ابن المعتز) الكلام البليغ بكلام بليغ، فقال: (أبلغ الكلام: ما حسن ايجاده، وقلّ مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدورهِ وأعجازه). ورُبَّ كلامٍ كان في نفسه حسناً خلّاباً حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقط في غير مسقطه، خرج عن حدّ البلاغة، وكان غرضاً لسهام الناقدين. ومن أمثلة ذلك قول المتنبي لكافور الإخشيدي في أول قصيدة مدحه به^(١٧):

^{١٧} - شرح المشكل من شعر المتنبي - (ج ١ / ص ٨٣)

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ نَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا..... وَحَسَبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا.
فَلَا يَخْفَى عَدَمُ جَدِيَّةِ الْكَلَامِ رَغْمُ كَوْنِهِ صَحِيحًا لَغَوِيًّا وَنَحْوِيًّا، وَلَكِنَّهَا
الْمُنَاسِبَةُ هُنَا.

وقوله في مدحه (١٨):

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَةً لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَكَ فَأُطَرَّبُ.

قال الواحدي (١٩): هذا البيت يشبه الاستهزاء فإنه يقول: طَرِبْتُ عِنْدَ رُؤْيَاكَ
كَمَا يَطْرَبُ الْإِنْسَانُ لِرُؤْيَا الْمَضْحَكَاتِ. وَنَرَى أَنَّ الْمَتَنَّبِيَّ كَانَ يَغْلِي صَدْرُهُ
حَقْدًا عَلَى كَافُورٍ وَعَلَى الْأَيَّامِ الَّتِي أَلْجَأَتْهُ إِلَى مَدْحِهِ؛ فَكَانَتْ تَفَرُّمًا لِسَانِهِ
كَلِمَاتٌ لَا يَسْتَطِيعُ احْتِبَاسُهَا.

أهمية دراسة علم البلاغة:

لدراسة البلاغة أهمية كبيرة في حياتنا وفي مجالات متعددة ومتنوعة في
الكون، ومن أهم فوائد دراسة علم البلاغة:

١- تساعد البلاغة على معرفة معاني القرآن، وأسرار التعبير فيه، والوجوه
المحتملة لجملته وتراكيبه.

٢- تساعد على اختيار النصوص البليغة من الشعر والنثر وغيرها من
أضرب الكلام.

تنمي القدرة على تمييز الكلام الحسن من الرديء.

الفرق بين الباء التي في (بك) وبين التي في قوله تعالى: {.. وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} (٧٩) سورة النساء، أن الباء
في كفى بالله داخلة على الفاعل. وفي بك داخلة على المفعول، أي كفاك داء. ويجوز أن يكون كفى بدانك داء،
فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وداء في كل ذلك نصب على التمييز. ومعنى البيت: كفى بما تلقاه
من شدة الزمن، وتناهي المكروه، حتى أدى لك إلى تمنى الموت، واعتدادك به شافياً يعظم بذلك منونة ما
يلقاه. ومن العجب أن يُلَاقِي الإنسان بلية، تجعل المنية من أجلها أمنية.

١٨ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - (ج ١ / ص ٢٨١) وشرح ديوان المتنبي - (ج ١ / ص ٣٣١) وشرح
ديوان المتنبي - (ج ١ / ص ٣٣١) وتراجم شعراء موقع أدب - (ج ٤٧ / ص ٣٩٦)

١٩ - الواحدي: مفسر عالم بالأدب، مولده ووفاته بنيسابور، وكتبه البسيط والوسيط والوجيز في التفسير
مخطوطة، وشرحه لديوان المتنبي مطبوع توفي سنة ٤٦٨ هـ.

٣- تساعد المتكلم على صياغة كلامه وفقاً للمناسبة، وتعين القارئ على إدراك جمال أو قبح ما يقرأ، وتعطي الناقد آلات النقد وأحكامه.

٤- إدراك وفهم الجمل التي يتم قراءتها.

٥- القدرة على نقد النصوص الأدبية بطريقة صحيحة وخالية من الأخطاء.

٦- تحقيق عدد من الأهداف منها أ- هدف ديني : يتمثل في تذوق بلاغة القرآن الكريم والوقوف على أسرارها ، وتذوق بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره فيها .

ب- هدف نقدي أو بلاغي : يتمثل في التمييز بين الجيد والرديء من كلام العرب شعرا ونثرا.

ج - هدف أدبي: يتمثل في التدريب على صناعة الأدب ، وتأليف الجيد من الشعر والنثر.

ثانياً: مع علم البيان وأبرز مباحثه:

١ - تعريف علم البيان ونشأته

٢ - التشبيه وأنواعه.

٣ - المجاز وأقسامه:

أ - المجاز العقلي.

ب - المجاز المرسل.

ج - الاستعارة.

د - الكناية وأنواعها.

أولاً: علم البيان ونشأته قديماً:

وردت لفظة (البيان) في القرآن الكريم في قوله تعالى: " هذا بيان للناس وموعظة للمتقين " () ، وقد اختلف في تفسيرها . قيل: إنّ البيان في هذه الآية الكريمة يعني القرآن " () ، كما ذكر مصنفو كتب علوم القرآن: " إنّ البيان اسم من أسماء القرآن الكريم وصفة له ، إذ إنّ كلمة البيان دالة ، في هذه الآية الكريمة على ما يمتاز به القرآن من الأسلوب المعجز في موضوعاته الدينية والفكرية وفي لغته الفصيحة " () . أما قوله تعالى: " الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان " () . فقد اختلف المفسرون في تحديد مدلول (البيان) في هذه الآيات الكريمات ، فقيل : أنّه أسماء كلّ شيء ، وقيل اللغات كلّها ، وقيل : بيان الحلال والحرام ، والهدى والضلالة ، وقيل : الكلام والفهم ، وقيل : لسان كلّ قوم الذي يتكلمون به ، وقيل : الكتابة والخط والقلم () . ويذهب الزمخشري الى أنّ البيان ، هنا ، ما يميّز الإنسان عن سائر الحيوان ، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير () .

والبيان: لغة: هو الظهور والوضوح والكشف ، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ البيان " من بان الشيء وأبان ، اذا اتضح وانكشف ، وفلان أبين من فلان ، أي : أوضح كلاماً منه . (معجم مقاييس اللغة : مادة (بين) . وفي لسان العرب : " بان الشيء بياناً اتضح ، فهو بين ، وأبنته أنا ، أي وضّحته ، واستبان الشيء ظهر ، واستبينته أنا عرّفته ،

واضع علم البيان:

لعل مقولة (أول من وضع العلم) باتت من مسلّمات البحث العلميّ، وهي على صحة قربها من تحديد الأوليّة، إلا أنّها ليست سوى صيغة لغويّة للتعبير عن اليد التي اشتهر العلم على يديها، ومن هنا، فإنّ الحدي ثعن علم البيان وأوليّة وضعه، تجعلنا نحتكم إلى الموضوعيّة في ذكر تاريخ نشأة هذا العلم، فقد قيل إنّ أول من دوّن مسائل هذا العلم، هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى في كتابه (مجاز القرآن)، ولكنّ الجاحظ عمرو بن بحر، في كتابه (البيان والتبيين) كان قد أرسى معالم البيان وأسس بنيانه، ثم تبعه من تبعه ممن سبق ذكر كتبهم، والراجح مع كل ذلك أنّ الفضل بعد الله تعالى، يعود إلى الجاحظ؛ " لأنّه جمع طائفة من النصوص توضّح لنا توضيحاً حسناً كيف كان العرب يتصوّرون البيان العربيّ في القرن الثّاني والنّصف الأوّل من القرن الثّالث، وتعطينا صورةً مجمّلةً لنشأة البيان العربيّ"، وهذا ما لم يسبقه إليه أحد، ولكننا أيضاً لا نستطيع أن ننكر أنّ علماء البلاغة كلّهم قد تميّزوا في أطروحاتهم، وقدموا لهذا العلم ما حفظه لهم التاريخ.

أهمية علم البيان:

نوّه البلاغيون العرب القدامى بأهمية البيان ، وفي مقدمتهم عبد
القاهر الجرجاني (ت ٤٧١) بقوله : "ثم أنّك لا ترى علما هو أرسخ
أصلا ، وأسبق فرعا ، وأحلى جنى ، وأعذب وردا ، وأكرم نتاجا ، وأنور
سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ، ويصوغ الحلي
، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويقري الشهد ، ويريك بدائع من الزهر ،
ويجنيك اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفّيه بالعلوم وعنايته بها ،
وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ،
ولاستمر السرار بأهلها ، واستولى الخفاء على جملتها ، الى فوائد لا
يدركها الاحصاء ، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء " (دلائل الاعجاز :
٥-٦) .

فالبيان يعدّ العمود الفقري لعلوم الاجب العربي وفنون اللغة العربية .
والبيان ، أو دراسة الفن الادبي ينبغي أن يساير كلّ نشاط فكري ، لأثره
البعيد في اللغة العربية ، اذ هو يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها ،
ويجّل أساليبها المختلفة ، وفضل التعبير بكلّ

مواد علم البيان: علم البيان يعتمد على أركان ثلاثة: التشبيه والمجاز
والكناية. فأساليبه التي يحتوي عليها و أعدت قُسمت إلى أربع: التشبيه
والمجاز والاستعارة والكناية.

ما العلاقة بين علم القرآن وعلم البيان؟:

((الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤))

السؤال عن سبب ترتيب الآيات كأن الذي يخطر في بال السائلة أن
يقول في غير القرآن: الرحمن خلق الإنسان علمه البيان علمه القرآن. يبدأ

بخلق الإنسان وتعليم البيان ثم تعليم القرآن. الأمر ليس أمر ترتيب تاريخي، القرآن لا يتحدث حديثاً تاريخياً وإنما هذه السورة تبدأ باسم الرحمن وأسماء الله سبحانه وتعالى كلها تتضمن معنى الصفة. لما تقول الرحمن تتخيل الرحمة إلا الاسم الأعظم الذي هو الله لفظ الجلالة عندما تقول الله يخطر ببالك ما يخطر من صفات الله: الرحمن، الرحيم، الملك، السميع، البصير كل ما يخطر في بالك : الله. هنا بدأ: الرحمن وجمهور الآيات تدل على رحمته سبحانه وتعالى وأوضحها (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) هذه النعم التي أنعمها هي نعمة الرحمن فبدأ بالرحمن ومن رحمته أنه علّم القرآن لمحمد (صلى الله عليه وسلم) من أعظم رحمة الله عز وجل أنه علّم القرآن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى يبثه للناس.

وهنا انتقل إلى خلق الإنسان الذي سيُخاطب بالقرآن وإلى الميزة التي أُعطيها وهي أنه كان مبيّناً، كان ذا لغة، فإذن من رحمة الله عز وجل الرحمن أنه علّم لرسوله (صلى الله عليه وسلم) القرآن وخلق الإنسان وعلّمه البيان حتى يفهم القرآن. فالآيات مترابطة متشابكة وهذا نظامها وليس كما يتخيل الإنسان من أول نظرة. من رحمة الله تعالى القرآن وتعليمه للرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم خلق الإنسان وتعليمه البيان ليُدرك القرآن الذي ذكره قبل ذلك. تعلّم اللغة الآن ثبت من حيث التشريح أن خلايا الدماغ متخصصة. يقول العلماء كل خلية إذا أُتلفت لا تُعوّض. فهناك في الفصّ الأيسر من الدماغ في الطيّة الثالثة هناك منطقة متخصصة باللغة في الطيّة الثالثة من الفصّ الأيسر من الدماغ. فالإنسان خلق مهيباً بخلايا متخصصة لأن تجعله ذا لغة أيّ لغة لذا الطفل أينما يعيش يتعلم اللغة

عنده القدرة أن يكون ذا لغة فكونه ذا لغة هذه نعمة من نعم الله تعالى وإلا لا تكون حضارة ولا خلافة في الأرض وباللغة تتناول المعلومات.

التشبيه وأنواعه:

التشبيه لغة: التشبيه في اللغة هو التمثيل و هو مشتق من الفعل شبه، يقال شبهت هذا بهذا تشبيها أي مثله به. وفي لسان العرب: "الشبه و التشبه المثل و الجمع أشباه و أشبه الشيء. ماثله و أشبهت فلانا و شابهته، و أشبه على. و تشابه الشيئان و اشتبها: أشبه كل منهما صاحبه و شبهه إياه و شبه به مثله، و التشبيه التمثيل و جاء في لسان العرب في مادة (مثل): و المثل: التشبيه يقال مثل و مثل، و شبه و يشبه بمعنى واحد" ().

اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم للعلم، . وتعددت تعريفاته عند البلاغيين والنقاد ومنهم:

- الرماني: يقول في التشبيه: « هو العقد على أن الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ، و لا يخلو التشبيه من أن يكون القول أو في النفس ».()

- أبو هلال العسكري: " التشبيه عنده هو: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر عند التشبيه ". ()

- ابن رشيق: " التشبيه صفه بما قاربه و شاكلة من جهة واحدة أو جهات عدة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ". ()

- السكاكي : " إن التشبيه يستدعي طرفين مشبها و مشبها به و اشتراكا بينهما من وجه و افتراقا من وجه آخر " . () والتشبيه كنمط بلاغي من أنماط الصورة عند السكاكي ، قد أصابه بعض الغموض حتى ظن بعض شراح الكتاب قديماً ، وبعض النقاد المحدثين ، أن السكاكي قد أخرجه من علم البيان ، لأن دلالاته وضعية ؛ ومن ثم لا تفاوت بين طرقه في وضوح الدلالة بالزيادة أو النقصان ، وما ذكره في باب علم البيان إلا اضطراراً كمقدمة لباب الاستعارة التي تعتمد عليه اعتماداً أساسياً .

- ابن الأثير : " التشبيه هو إن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به " ()

- ابن أبي الإصبع : " التشبيه عبارة عن العقد على أن أحد الشئينين يسد مسد الآخر في حالة أو عقد هكذا حد الرماني و هذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ و غيره و حد التشبيه البليغ إخراج الأغص إلى الأظهر بالتشبيه مع التأليف " ()

- الخطيب القزويني : "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى " ()

- يحيى بن حمزة العلوي : " الجمع بين الشئين أو الأشياء بمعنى أو بواسطة الكاف و نحوها " . ()

عناصر التشبيه :

المشبه : وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره .

المشبه به : وهو الأمر الذي يلحق بغيره به .

وجه الشبه : وهو الوصف الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه إما تحقيقاً أو تخيلاً .

أدوات التشبيه : وهي اللفظ الذي يربط المشبه بالمشبه به .

الغرض من التشبيه : وهو الفائدة التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع باستخدام الأسلوب التشبيهي .

الأغراض العائدة على المشبه :

١/ بيان إمكان وجود المشبه : وذلك إذا كان من الأمور الغريبة التي يستبعد حصولها ويدعي استحالتها، كقول البحري :

دانِ على أيدي العُفَاةِ وشَاسِعٍ ////////////////
عن كل نَدٍّ في النَّدى
وَضَرِيبِ

كالبدرِ أفرط في العلوِّ وضوءه ////////////////
للْعُصْبَةِ السَّارِينِ جُدُّ
قَرِيبِ

فالغرض من التشبيه : بيان إمكان وجود المشبه ، حيث وصف الشاعر الممدوح بصفتين متناقضتين ، ثم أزال هذا التناقض بالمشبه به الذي بين أن لما ادعاه الشاعر نظيراً في الوجود الغرض من التشبيه : بيان مقدار الحال ، حيث بين التشبيه مقدار حال الشاعر في علاقته بمحبوبته ، وأنه بلغ أقصى غاية في الحرمان وخيبة الأمل .

٢/ بيان مقدار الحال : وذلك إذا كانت صفته معلومة للمخاطب والمجهول مقدارها من القوة والضعف أو الزيادة والنقصان ، كقول الشاعر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابضٍ // على الماء خائنه فروج
الأصابع

فالغرض من التشبيه : بيان مقدار الحال ، حيث بين التشبيه مقدار حال
الشاعر في علاقته بمحبوبته ، وأنه بلغ أقصى غاية في الحرمان وخيبة
الأمل .

٣/ تأكيد حال المشبه وتقريرها في نفس السامع: وذلك إذا كان كل من
الحال ومقدارها معلومين وأريد بالتشبيه تأكيد اتصاف المشبه بالصفة ،
كقوله تعالى : { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
بَشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ } () ، فوجه الشبه : الخيبة فيما يؤمل الحصول عليه، أما
الغرض من التشبيه فهو : تأكيد حال المشبه، حيث قرر حالهم بأنه لن
يستجاب لهم كمن يدعو الماء ليأتيه فيشرب ولن يبلغه .

٤/ تزيين المشبه وتجميله: وذلك عند إرادة مدحه والترغيب فيه ، كقول
النابغة :

فإنك شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ // إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ
كوكبٌ

وجه الشبه : اختفاء أشياء بظهور أشياء أخرى ، والغرض من التشبيه :
تزيين المشبه .

٥/ تشويه المشبه وتقبيحه: وذلك عند إرادة الذم والتنفير منه ، كقول
الشاعر :

وإذا أشار محدثاً فكأنه /////////////// قرء يقهقه أو عجز تلطم

تقسيمات التشبيه: ينقسم التشبيه لثلاثة اعتبارات هي:

١/ باعتبار الأداة من حيث : أ) ذكرها ويسمى مرسل. ب) عدم ذكرها ويسمى مؤكد

٢/ باعتبار طرفيه من حيث : أ) الحسية والعقلية ب) التعدد وعدمه ج) الأفراد والتركيب

٣/ باعتبار وجه الشبه من حيث : أ) الحقيقة والخيال ب) ذكره ويسمى مفصل ، وعدم ذكره ويسمى مجمل (ج) الأفراد والتركيب والتعدد د) قربه وبعده (هـ) التمثيل.

أولاً: باعتبار الأداة (ذكرها - حذفها):

أ) مرسل : الذي تذكر فيه الأداة ، مثل :

كالبحر يقذف للقريب جواهره /////////////// جوداً ويبعث للبعيد سحائباً

فوجه الشبه : عموم العطاء للقريب والبعيد، أما نوع التشبيه باعتبار الأداة من حيث ذكرها وعدمه : مرسل.

ب) مؤكد : الذي لا تذكر فيه أداة التشبيه ، ويأتي المشبه به فيه على أربع صور :

١ - هم البحور عطاءً حين تسألهم /////////////// وفي اللقاء إذا تلقاهم بهم (خبر)

٢ - والريـح تعبث بالغصون وقد جرى
الماء (مضاف)

٣- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا # وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا { (الحال)

٤ - { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } صورة المصدر
(مر السحاب)

2/ باعتبار الطرفين : أ - حسي بحسي ، مثال : { كأنهم أعجاز نخل
خاوية }

ب - حسي بعقلي ، مثال : أيقنتني والمشرقي مضاجعي /// ومسنونة
 زرق كأياب أغوال

ج - عقلي بحسي ، مثال : الرأي كالليل مسود جوانبه /// والليل لا ينجلي
إلا بإصباح

د - عقلی بعقلی ، مثال : العلم بالحياة ، والجهل بالموت

ثالثاً/ باعتبار وجه الشبه : ١/ مجمل : ما حذف فيه وجه الشبه كقولنا :
هذا الرجل كالأسد والعلماء كالنجوم .

٢/ مفصل : ما ذكر فيه وجه الشبه كقولنا : وجهه البدر حسنا وخده كالورد حمرة وشعره كالليل سوادا وريقه كالخمر مذاقا

ب. التشبيه الضمني : هو تشبيه لا تذكر فيه أركان التشبيه صراحة ، بل يفهم من سياق الكلام فهما ضمنيا ، وهو تشبيه يوحي فيه ولا يصرح به في صورة من صورهِ المعروفة، يلجأ إليه الأديب طلبا للابتكار، وإقامة

الدليل على أن الحكم الذي أسنده إلى المشبه حكم ممكن ومعقول، فيكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه ومن أمثلته قول الشاعر :

علا فما يستقر المال في يده وكيف تمسك ماء قمة الجبل

فإن الشاعر قد شبه الممدوح المفهوم من ضمير "علا" "بقمة الجبل" ووجه الشبه عدم استقرار الشيء والأداة محذوفة.

"ويعد التشبيه الضمني من أبرز مظاهر التفنن في التشبيه، فهو لا يتقيد بعناصر معينة ولا بتركيب خاص ، ولا بروابط محدودة، ومن ثم فهو لا يحدد الصلة بين الطرفين، فللمستقبل مجال واسع لتصوير الصلة فيه بين المشبه والمشبه به، والدليل فيه على إمكانية التقريب بين الطرفين هو السياق." ()

وكقول المتنبي: مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ
لَجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ

أي أن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً، لأن الميت إذا جرح لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه (تشابه) يقتضي التساوي، وأما (التشبيه) فيقتضي التفاوت.

وكقول أبي فراس الحمداني ():

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ... وفي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَفْتَقَدُ الْبَدْرُ

بلاغة التشبيه الضمني :

١- إنه دعوى مع البينة والبرهان .
٢- إنه إبراز لما يبدو
غريباً ومستحيلاً .

١- إنه جمع بين أمرين متباعدين ، وجنسين غير متقاربين .

٤- إنه دلالة على التشبيه بالإشارة والكناية ، لا بالوضوح والصراحة

ج. التشبيه المقلوب : هو تشبيه الزائد بالناقص، وإلحاق الأصل بالفرع
لقصد المبالغة أي يأتي فيه المشبه مكان المشبه به بهدف المبالغة ويسمى
كذلك "التشبيه المنعكس" لأن التشبيه يعكس فيه فيجعل المشبه مشبهاً به
والمشبه به مشبهاً قصداً إلى المبالغة، وفي قلب التشبيه ابتكار مغاير لما
هو مألوف، وخروج عن المعتاد وتجديد يدل على مرونة اللغة، وقدرتها
على إنشاء علاقات جديدة بين الأشياء، ومن أمثله قول الشاعر :

أحن لهم ودونهم فلاة كأن فسيحها صدر الحليم

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

حيث شبه في البيت الأول الصحراء الواسعة بصدر الحليم، فجعل الفرع
أصلاً، والأصل فرعاً، وادعى أن صدر الحليم أوسع من الصحراء. وفي
البيت الثاني شبه الصباح في إشراقه ونوره "بوجه الخليفة" حين يمتدح
وادعى أن وجه الخليفة أعرف وأشهر وأتم في النور والضياء من الصباح.
وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتتان والإبداع، كقوله تعالى حكاية عن
الكفار: " قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا " ()، في
مقام أن الربا مثل البيع ، عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع،

لأنَّ الغرضَ الربحُ ،وهو أثبتُ وجوداً في الربا منه في البيعِ ، فيكونُ أحقَّ بالحلِّ على حدِّ زعمهم .

د - التشبيه التمثيلي: هو تشبيه يكون فيه المشبَّه والمشبَّه به عبارة عن صورتين متماثلتين ومتعددي الأجزاء وتكر فيه الأداة، ولذا يكون وجه الشبه منتزع منهما .

ومنه: وقد كان يلقى الألف فرداً فيئثني ///// كطيرٍ رمَتْ فيها السَّمَاءُ بحُسْبَانٍ

ومنه: فأصبحت من ليلى الغداة كقابض ///// على الماء خائته فروج الأصابع

ومنه: - " تنساب مذانبه كانسياب الأراقم بكل سبيل"

ومنه - " قد أهدقت البساتين بها كإحداق الهالة بالقمر ."

ويقول المتنبي واصفا سيف الدولة وحوله جيشه يسير إلى قتال أعدائه :

يهزّ الجيشُ حولك جانبيه /////////////// كما نفضت جناحيها العقاب

الحقيقة والمجاز:

حقيقة الأمر: يقين شأنه. والحقيقة في الاصطلاح: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في الاصطلاح الذي جرى به التخاطب.

المجاز: المجاز في اللغة : من جاز المكان يجوزُه إذا تعداه وقطعه ، وجاز المكان أي: سار فيه وسلَّكه إلى كذا، وقد أطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها.

والمجاز في الاصطلاح: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الحقيقة .

والمجاز: ينقسم لثلاثة أنواع: ١- مجاز عقلي ٢- مجاز مرسل ٣- استعارة.

المجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين. ومعنى علاقة المجاز المرسل: أي أن يكون هناك تلازم وترايط يجمع بين المعنيين ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر وهذه العلاقة كثيرة أشهرها ما يلي:

١/ علاقة السببية: وهي أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سبباً في المعنى المراد فيطلق السبب على المسبب. مثال (رعى الغيث) والسر البلاغي في استخدام المجاز بدلا من الحقيقة : هو إبراز مدى أهمية الغيث وفرحهم به وأثره في نفوسهم حتى كأنه هو المرعى لا النبات .

مثال : قوله تعالى : { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } [سورة الشورى: ٤٠] فالمراد بالسيئة الثانية الجزاء والقصاص الذي يتسبب عن السيئة فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب على سبيل المجاز المرسل (العلاقة السببية).

٢/ علاقة المسببية: وهي أن يذكر المسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مسبباً عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب من ذلك قولهم: أمطرت السماء نباتاً، أي: ماء فذكروا المسبب "نباتاً" وأرادوا السبب "ماء" فهو مجاز مرسل علاقته المسببية.. ومنه قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ

إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } [سورة غافر: ١٣] والذي ينزل من السماء هو الماء الذي يتسبب عنه الرزق فذكر المسبب في موضع السبب على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية ، وتكمن بلاغة المجاز في الآية الكريمة في قوة السببية بين الماء والرزق وفي ذلك إحياء وتنبيه للمؤمن إلى أن الرزق مصدره السماء فليطمئن وليمض على النهج القويم فالرزق قد قدره الله وكفله للجميع إنه منزل من السماء.

٣/ علاقة الجزئية: وهي أن يذكر الجزء ويراد الكل كما في قوله تعالى: { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا } (سورة المجادلة: ٣). فقد عبر عن العبد أو المولى في الآيتين بالرقبة لأنها أهم جزء في الإنسان ولأن معاني السيادة والعبودية تظهر أوضح ظهور في الأعناق ، فذكر الجزء وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية .

٤/ علاقة الكلية : وهي أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل أي يطلق اسم الكل ويراد جزؤه كقوله تعالى: { يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّن الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ } [سورة البقرة: ١٩] وقوله عز وجل: { وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ } [سورة نوح: ٧] فقد عبر بالأصابع في الآيتين وأراد الأنامل من باب إطلاق لفظ الكل على الجزء مجازاً مرسلًا علاقته الكلية.. والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الآيتين هو رغبة القوم في تعطيل حاسة السمع بأقصى ما يمكن مبالغة فيما يشعرون به من هول الصواعق وفضاعتها في سورة البقرة، ومبالغته في إعراضهم عن الحق في سورة نوح .

٥/ علاقة اعتبار ما كان: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما كان له من قبل كما في قوله عز وجل: { وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ } [سورة النساء: ٢] فاليتيم من مات أبواه ولم يبلغ سن الرشد وهو لا تسلم إليه أمواله لعجزه عن التصرف فيها في هذه السن وإنما تدفع إليه بعد أن يتجاوز سن اليتيم ويصير رشيداً فتسميتهم "يتامى" عندئذ باعتبار ما كان قبل ذلك على سبيل المجاز المرسل لعلاقة اعتبار ما كان . وإيثار التعبير عنهم بلفظ اليتامى مع أن اليتيم قد زال يفيد أمرين:

أولهما: الإنباء بسرعة إعطائهم أموالهم بمجرد اليتيم عنهم فكأن صفة اليتيم لا تزال عالقة بهم وقت دفع المال، لأنه يدفع إليهم عقب زوالها مباشرة..
ثانيهما: التذكير بحال هؤلاء اليتامى وكيف حرموا من عطف وحنان الأبوة وأنه لا يليق بالمؤمن أن يطمع في مال من هذا شأنه.

٦/ علاقة اعتبار ما يكون أو ما سيكون : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما ينول إليه في المستقبل كما في قوله تعالى: { قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا } [سورة يوسف: ٣٦] يريد عنباً يصبح عصيره خمراً ؛ لأن الخمر عصير والعصير لا يعصر، فاستخدم المجاز المرسل لعلاقة اعتبار ما يكون. وإيثار لفظ الخمر بالتعبير ينبئ بالإثم الذي يرتكبه العاصر فهو لا يعصر عنباً وإنما خمراً .

٧/ الآلية : هي كون الشيء واسطةً لإيصال أثر شيءٍ إلى آخر، وذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة، وأريد الأثر الذي ينتج عنه، نحو قوله تعالى : (وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) [الشعراء/ ٨٤] أي ذكراً حسناً ، (فلسان)

بمعنى ذكرٍ حسنٍ مجازٍ مرسلٍ، علاقته (الآلية) لأنَّ اللسانَ آلةٌ في الذكرِ الحسنِ.

٨/ الحالية : هي كونُ الشيء حالاً في غيره، وذلك فيما إذا ذكرَ لفظُ الحال، وأريدَ المحلَّ لما بينهما من الملازمة، نحو قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [آل عمران/١٠٧])، فالمرادُ من (الرحمة) الجنة التي تحلُّ فيها الرحمة، فهم في جنةٍ تحلُّ فيها رحمةُ الله، ففيه مجازٌ مرسلٌ، علاقته (الحالية) ، وكقوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ [الأعراف/٣١]) أي لباسكم، لحلولِ الزينةِ فيهنَّ، فالزينةُ حالٌ واللباسُ محلُّها.

٩/ المحلية : هي كون الشيء يحلُّ فيه غيره، وذلك فيما إذا ذكرَ لفظُ المحلِّ، وأريدَ به الحالُ فيه - كقوله تعالى : (فَلْيَذْغِ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ [العلق/١٧، ١٨])، والمراد من يحلُّ في النادي. وكقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [آل عمران/١٦٧])، أي ألسنتهم، لأنَّ القولَ لا يكون عادةً إلا بها. ونحو قوله تعالى : {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (٨٢) سورة يوسف . أي اسأل أهلَ القرية . واسأل أهلَ العير .

١٠/ المجاورة : هي كونُ الشيء مجاوراً لشيءٍ آخر، نحو كَلَّمْتُ الْجِدَارَ وَالْعَامُودَ، أي الجالسَ بجوارهما، فالجدارُ والعامودُ مجازانِ مرسلانِ ِ علاقتهما (المجاورة).

المجاز العقلي:

عرف الخطيب القزويني المجاز العقلي بقوله : إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول. بينما يعرفه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بقوله: كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول .

وواضح اتفاق التعريفين في الألفاظ إلا قوله : (إلى ملابس له) بدلاً من: ما هو له، وهذا هو الفرق بين الحقيقة العقلية والمجاز العقلي . ويحدد الخطيب معنى الملابس في قوله: ولل فعل ملابسات شتى؛ يلبس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان والمكان، والسبب .

علاقات المجاز العقلي:

١- إسناد المبنى للفاعل إلى المفعول (المفعولية) :

وقد مثل البلاغيون له بقول الله تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ " ولو تأملت الآية الكريمة لوجدت أن التجارة ليست الفاعل الحقيقي للفعل (ربح)، وإنما أسند إليها لتلبسه بها، إذ الأصل: ما ربح المشترون في تجارتهم، والسبب في هذا الإسناد المجازي: أن إثبات الخسارة لتجارتهم مفيد لبطلانها أساسها، وإذا خسرت تجارتهم كانوا هم خاسرين من باب أولى. ومن جمال الأسلوب وروعته تعانق المجاز العقلي مع الاستعارة التصريحية المرشحة، إذ استعير هنا الشراء للاختيار والاستبدال، ثم ذكر ما يلائم المستعار منه وهو الربح والتجارة.

ومنه: سَتُبْدِي لَكَ الْآيَاتُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

فَفِي هَذَا الْبَيْتِ إِسْنَادُ الْإِبْدَاءِ إِلَى الْآيَّامِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِلْآيَّامِ أَنْ تُبْدِيَ وَتُظْهِرَ، وَإِنَّمَا هِيَ زَمَانٌ لِحُصُولِ الْإِبْدَاءِ، وَقَدْ أَرَادَ الشَّاعِرُ حَقِيقَةً أَنْ يَقُولَ لِمُخَاطَبِهِ: إِنَّ حَوَادِثَ الْآيَّامِ سَتُبْدِي لَكَ، فإِسْنَادُهُ الْإِبْدَاءَ إِلَى الْآيَّامِ، مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، وَبِمَا أَنَّ الْآيَّامَ جُزْءٌ مِنَ الزَّمَانِ، وَمَحَلٌّ لَوْفُوعِ الْإِبْدَاءِ، تَكُونُ الْعِلَاقَةُ عِلَاقَةً "زَمَانِيَّةً".

٢- إسناد المبني للمفعول إلى الفاعل (الفاعلية):

وقد مثل له البلاغيون بقول الله تعالى: " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا [١] فقد أسند (مستورا) بمعنى (ساترا) إلي ضمير الحجاب، والحجاب لا يكون مستورا بل ساترا، فهو فاعل الستر، وفي هذا الإسناد مبالغة لا تخفي، إذ بالغ في وصف قسوة الذين لا يؤمنون بالآخرة وشدة جحودهم، وقد وصل بهم الحال إلي درجة أن الحجاب لم يعد ساترا لهم، بل مستورا بمعاصيهم وطغيانهم وتكبرهم وعنادهم، ولهذا استعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل.

ومنه جاء قوله تعالى: " جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَانُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا [٢] فمأتيا بمعنى: آتيا، ولكنه أسنده إلي ضمير الوعد الذي هو فاعل في الحقيقة إذ الوعد يأتي ولا يوتي، وكأن الوعد يأتيه الناس الذين يسيرون إلي قدر الله فيهم، وواضح ما في المجاز من مبالغة في إنجاز وعد الله تعالى وتحقيقه.

٣ - إسناد الفعل المبني للفاعل إلي مصدره (المصدرية):

ومثل له البلاغيون بقول الله تعالى: "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ [٣] فقد أسند الفعل (نفخ) المبني لغير الفاعل إلي مصدره (نفخة)، ولم يسنده

إلى نائب الفاعل الحقيقي للمبالغة في تقييده وحسن تذكيره ليوم الفصل.
ومنه جاء قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

يريد : أن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك فالبدر يفتقد ويطلب إذا اشتد الظلام، وفيه أسند الفعل (جد) بمعنى اجتهد إلى مصدره (جدهم) والجد ليس الفاعل الحقيقي يصدر من الشخص الجاد والقوم الجادين، فيقال: جد القوم جداً أي اجتهدوا اجتهداً، ولكن الشاعر أسند الفعل إلى مصدره؛ لأن المصدر جزء من مفهوم الفعل، وفيه مبالغة فيما سينزل بقوم أبي فراس.

٤- إسناد المبني للفاعل إلى الزمان (الزمانية):

ومثل له البلاغيون بقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي : كيف يقي الإنسان نفسه إن بقى على الكفر من هذا اليوم الشديد هولُه والفظيعة دواهيهِ، وقد أسند الفعل (يجعل) إلى ضمير اليوم، وهو زمان وقوع الفعل ولكن للمبالغة في مدخلية اليوم في حصول الفعل حتى كأنه الفاعل الحقيقي أسند إلى غير فاعله.

ومنه قولهم : نهاره صائم وليله قائم، فأسند الصوم إلى النهار، والقيام إلى الليل، والصائم: هم من الناس في النهار، والقائم: هم من الناس في الليل .

٥- إسناد المبني للفاعل إلى المكان (المكانية) :

ومثل له البلاغيون بقول الله تعالى : "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" () (فقد أسند الفعل (تجري) إلى (الأنهار) وهي مكان لجرى الماء، وإنما كان ذلك للمبالغة في أن الماء لكثرة فيضانه وشدة جريانه يرى، وكأن المكان هو الذي يجري، وكأن الجري قد تجاوز الماء إلى المكان ومنه قوله تعالى : "وَأَخْرَجْتُ الْأَرْضَ أَثْقَالَهَا" () (فقد أسند الإخراج إلى الأرض وهي مكان للأثقال والأصل : وأخرج الله أثقالها، وإنما أسند للمبالغة في تهويل وتفضيع ذلك اليوم، وتصوير الأرض وهي تقذف ما بباطنها ولم تبق شيئا .

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

٦ (إسناد المبنى للفاعل إلى السبب (السببية) :

ومثل البلاغيون له بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ () (فقد أسند الفعل (يذبح ويستحي) إلى سببه وهو (فرعون) إذ لم يقع فعل الذبح منه إنما كان سببا فيه.

ومثله : محبتك جاءت بي إليك، فالمحبة لم تأت بك ولكنها كانت سببا، ومثله : بنى الأمير المدينة، وهكذا ...

ومنه قول الله تعالى : "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ" وقوله تعالى : "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ

إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى
إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ "

الاستعارة:

هي اللفظ المستخدم في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينه مانعة
من إرادة المعنى الحقيقي . وهي تشبيهة حذف أحد طرفيه، فعلاقتها
المشابهة دائماً.

ومن التعريفات لها:

يأتي ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، حيث اقترب تعريفه وتصوره للاستعارة، من
تصور الجاحظ فهي عنده: "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء
قد عرف بها، مثل أم الكتاب، و...". ()، وجاء الأمدي (ت ٣٧٠ هـ)، ،
معاصر القاضي الجرجاني وعرفها بقوله "استعارة المعنى لما ليس [هو]
له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه، في بعض أحواله، أو كان سبباً من
أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقة بالشيء الذي استعيرت له"
(، فالاستعارة عند الأمدي تحدث إذا تقارب المعنى من كلمة أو شابهها،
ليدل على ما تشابه بين المعنى واللفظ.

وجاء عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ونجده يعرفها بقوله: "الاستعارة
في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً، تدل عليها
الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر
في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية" ()،

وَيُعَدُّ عبد القاهر من الذين أفاضوا في الحديث عن الاستعارة، فنراه قد قسمها إلى: مفيدة، وغير مفيدة، ويعطي أمثلة عديدة لها، ويسهب في بيان فوائدها، وهو أول من أشار لقسميها، اللذين أُطلقَ عليهما فيما بعد: التصريحية، والمكنية، وتقسيمها لمحسوس ومعقول، وهو أول من أشار إلى عدم صلاحية كل التشبيهات لأن تضحى استعارة، وغيرها من القضايا المهمة التي لم يتطرق إليها أحدٌ قبله إليها عن الاستعارة ().

١ - تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المذكور: هنا الاستعارة نوعان :

أ/ تصريحية : وهي ما صُرِّحَ فيها بلفظ المشبَّه به.

ب/ مكنية : وهي ما حُذِفَ فيها المشبَّه به وَرُمِزَ لَهُ بشيءٍ مِنْ لوازمه.

إجراء الاستعارة:

يقصد بإجراء الاستعارة تحليلها إلى عناصرها الأساسية، بتمييز كل من المشبه والمشبه به وبيان علاقة المشابهة، ونوع الاستعارة، وبيان نوع القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

أركان الاستعارة:

١/ مستعار منه = وهو المشبه به

٢/ مستعار له = وهو المشبه

٣/ مستعار = هو اللفظ المنقول

مثال: (واشتعل الرأس شيباً)

التشبيه: الشيب يشبه النار ، المشبه: الشيب ، المشبه به : النار المستعار
الفعل (اشتعل) ، المستعار منه النار وهي المشبه به، المستعار له الشيب
وهو المشبه.

قال الشاعر :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتُ // وَرَدًا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ
بالبرد

الاستعارات: هي دموع كاللؤلؤ، حذف المشبه، وأبقى المشبه به (اللؤلؤ)
فهي تصريحية، والعيون النرجس، حذف المشبه (العيون) والتصريح
بالمشبه به على طريقة الاستعارة التصريحية، والخدود كاللورد، فحذف
المشبه وصرحوا بالمشبه به (وردًا) والأنامل أو الشفاه كالعناب (ثمر
أحمر) حذف المشبه (الأنامل) وصرح بالمشبه به (العناب) والأسنان كالبرد
حذف الأسنان وهي المشبه وصرح بالبرد، على طريقة الاستعارة
التصريحية.

(أ) الاستعارة التصريحية:

وهي ما صرح فيها بذكر لفظ المشبه به (المستعار منه)، وحذف
لفظ المشبه (المستعار له)، نحو: (الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، فقد شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور، بجامع عدم
الهداية في الأول، ووجود الهداية في الثاني، وحذف المشبه (الكفر
والإيمان) وأبقى بدله المشبه به (الظلمات والنور).

قال المتنبي مخاطباً ممدوحه وقد قابله:

لم أرَ قبلي من مشى البحر نحوه // ولا رجلا قامت تعانقه الأسدُ

لقد شبهه أولاً بالبحر بجامع العطاء والجود، وشبهه ثانياً بالأسد على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية هي إسناد الفعل (مشى) إلى (البحر)، وإسناد الفعل (عانق) إلى (الأسد).

وقوله: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) فيه شبه الكفر بالظلمات بجامع انعدام الهداية، وشبه الإيمان بالنور بجامع الاهتداء، ثم حذف المشبه، الكفر والإيمان، وأبقى بدلها المشبه به، الظلمات والنور، على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي القرينة الحالية.

(ب) الاستعارة المكنية:

وهي ما ذكر فيها لفظ المشبه وحذف منها لفظ المشبه به وأبقى شيء من لوازمه، نحو:

(أ) قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ) شبه الغضب بإنسان ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من خصائصه، هو السكوت على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هو إسناد الفعل (سكت) إلى لفظ (الغضب).

(ب) وقال أبو ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية انشبت أظفارها // ألفيت كل تميمة لا تنفع

شبه المنية بحيوان مفترس بجامع الإهلاك وحذف المشبه به (الحيوان المفترس) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو (الأظفار)، والقرينة المانعة من

إرادة المعنى الحقيقي لفظية هي إسناد الفعل (أنشِب) إلى لفظ (المنية).
المستعار (أظفارها) من الوحش المفترس (المستعار منه) وهو المشبه به،
والمنية (المستعار له) وهو المشبه. فالاستعارة مكنية لأنه ذكر المشبه
(المنية).

(ج) قال الله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)

فقد استعار الجناح من الطائر، والمستعار له الذل، والمستعار الجناح.
والغرض الطاعة للوالدين. والاستعارة مكنية؛ لأنه ذكر المشبه (الذل)
وحذف المشبه به الطائر، وأبقى شيئاً من لوازمه (جناح) ليدل عليه..

٢ - في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار:

تكون الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار في الأفعال أو المشتقات أو
الحروف على صورتين، فهي تكون أصليّة إذا كان اللفظ الذي جرت فيه
اسماً جامداً. بينما تكون الاستعارة تبعيّة إذا كان اللفظ الذي جرت فيه مشتقاً
أو فعلاً كل تبعيّة قرينتها مكنيّة ، وإذا أُجريت الاستعارة في واحدةٍ منهما
امتنع إجراؤها في الأخرى على النحو التالي :

(١)- إذا كان اللفظ المستعار «اسماً جامداً لذات» كالبدن إذا استعير
للجميل ، أو «اسماً جامداً لمعنى» كالقتل إذا استعير للضرب الشديد ،
سميت الاستعارة «أصليّة» كقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ
النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (١)
سورة إبراهيم ، وكقوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ سورة الإسراء (٢٤) جدير بالذكر أن

الاستعارة الأصلية سُمِّيتُ أَصْلِيَّةً لِعَدَمِ بَنَائِهَا عَلَى تَشْبِيهِ تَابِعٍ لِتَشْبِيهِ آخَرَ
مَعْتَبَرٍ أَوَّلًا .

وكقول المتنبي يمدح بدر بن عمار () :

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرٌ يَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولًا
يقول: إذا عزمَ الخليطُ رُحيلًا بكى المحبُّ بكاءً مثلَ المطر، إلا أنه لا ينبتُ
العشبَ كغيره من الأمطار، والخدودُ يزيد محلُّها به .

(٢)- إذا كان اللفظُ المُستعارُ « فعلاً » أو اسمَ فعلٍ، أو اسماً مشتقاً أو اسماً
مبهماً أو حرفاً فالاستعارة « تصرّحيةً تبعيةً » نحو: نامتُ همومي عني،
ونحو: صه: الموضوعُ للسكوتِ عن الكلام، والمستعملُ مجازاً في تركِ
الفعل، ونحو: الجنديُّ قاتِلَ اللصِّ، بمعنى ضاربِهِ ضرباً شديداً، ونحو: هذا:
الموضوعةُ للإشارةِ ِ الحسيّةِ، والمستعملةُ مجازاً في الإشارةِ العقليةِ
نحو: هذا رأيي حسنٌ، ونحو قوله تعالى على لسان فرعون : (وَأَصْلَبْكُمْ
فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [طه/٧١])، ونحو قوله تعالى عن موسى عليه السلام
: (فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا [القصص/٨]) .

(٣)- إذا كان اللفظُ المستعارُ اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً، « دون باقي
أنواعِ التبعيةِ المتقدّمة » فالاستعارة « تبعيةً مكنيةً »، وسميتُ (تبعيةً)
لأنَّ جريانها في المشتقاتِ، والحروفِ، تابعٌ لجريانها أولاً: في الجوامدِ،
وفي كليّاتِ معاني الحروفِ، يعني: أنها سميتُ تبعيةً لتبعيتها لاستعارةٍ
أخرى، لأنها في المشتقاتِ تابعةٌ للمصادرِ، ولأنها في معاني الحروفِ تابعةٌ
لمتعلّقِ معانيها، إذ معاني الحروفِ جزئيةٌ، لا تتصورُ الاستعارةُ فيها إلا

بواسطة كليّ مستقلّ بالمفهومية ليتأتّى كونها مشبّهاً، ومشبّهها بها، أو محكوماً عليها، أو بها.

نحو: ركب فلانٌ كتفي غريمه ، أي: لازمه ملازمةً شديدة ً .

وكقوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة/٥])، أي تمكنوا من الحصول على الهداية التامة ، ونحو: (أذقته لباس الموت) أي ألبسته إياه.

وفي الحروف كقوله تعالى : { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) [القصص/٨، ٩] }

قال القرطبي () : " قوله - تعالى - : { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } لما كان التقاطهم إياه يؤدي إلى كونه لهم عدوًّا وحزنًا؛ فاللام في { لِيَكُونَ } لام العاقبة ولام الصيرورة؛ لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرّة عين ، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدوًّا وحزنًا ، فذكر الحال بالمآل؛ كما قال الشاعر () :

وللمنايا تُربّي كلُّ مُرْضِعَةٍ ودورنا لخراب الدهر تُبْنِيها

وقال آخرُ () :

فَلِلْمَوْتِ تَعْدُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كما لِحَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِي الْمَسَاكِنُ

أي فعاقبة البناء الخراب وإن كان في الحال مفروحاً به . والالتقاطُ وجود الشيء من غير طلب ولا إرادة . والعربُ تقول لما وجدته من غير طلب ولا إرادة : التقطه التقاطاً . ولقيتُ فلاناً التقاطاً . قال الراجز () :

ومَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقَاتُ لم أرَ إذِ وَرَدَّتْهُ فُرَاتًا

ومنه اللقطة " .

ويرى بعضهم أنَّ اللام هنا يصحُّ أن تكون للتعليل ، بمعنى ، أنَّ الله - تعالى - سخرَ بمشيئته وإرادته فرعونَ وآله . لالتقاط موسى ، ليجعله لهم عدوًّا وحزنًا ، فكأنَّه - سبحانه - يقول : قدَرنا عليهم التقاطَه بحكمتنا وإرادتنا ، ليكون لهم عدوا وحزنا .

٣- في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتَّصل بها من الملاءمات، و عدم اتصالها (مرشحة - مطلقة - مجردة) () :

تنقسم الاستعارةُ باعتبار ذكر ملائمِ المستعارِ منه، أو باعتبار ذكر ملائمِ المستعارِ له، أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائمُ أحدهما، إلى ثلاثة أقسامٍ: مطلقة، ومرشحة، ومجردة.

أ - فالمطلقة: هي التي لم تقترن بما يلائمُ المشبَّه والمشبَّه به، نحو قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ..} سورة البقرة (٢٧) . ف (ينقضون عهد الله) لم يتبعها بما يلائم المشبه أو المشبه به. وتقرير الاستعارة فيه أن يُقال: شَبَّهَ إِبْطَالَ الْعَهْدِ بِفَكِّ طَاقَاتِ الْحَبْلِ بِجَامِعِ عَدَمِ النِّفْعِ فِي كُلِّ، واستُعِيرَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَهُوَ النِّقْضُ لِلْمُشَبَّهِ وَاشْتَقَّ مِنْهُ يَنْقُضُونَ بِمَعْنَى يُبْطِلُونَ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِأَنَّهَا لَمْ تَقْتَرَنْ بِمَلَائِمٍ أَصْلًا

أو ذكرَ فيها ملائمهما معاً، كقول زهير () :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ

فقد استعار الشاعر الأسد للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له، في قوله: شاكي السلاح مقذّف وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه، في قوله: له لبّد أظفاره لم تقلّم ، وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدّي إلى تعارضهما وسقوطهما، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

وتقول من أمثلتها: رأيت بحرًا في المسجد، فالبحر هنا مستعار للعالم والقرينة (في المسجد) وليس هنالك ما يلائم المشبه أو المشبه به فتكون الاستعارة مطلقة.

ب - المرشحة: هي التي قرنت بملائم المستعار منه ، أي المشبه به، نحو قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٦) سورة البقرة ، استعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة ونحو من باع دينه بديناه لم تربح تجارتَه. وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم، وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه.

واعلم أنّ الترشيح أبلغ من غيره، لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أنّ المستعار له هو نفس المستعار منه لا شيء شبيه به، وكأن الاستعارة غير موجودة أصلاً، والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع، لأنّ به تضعف دعوى الاتحاد. وإذا اجتمع ترشيح وتجريد: فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة، إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله. و كما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضاً في المكنية . وإذا رشحت الاستعارة بلغت بالمجاز الذروة العليا

وهو أن تأتي بما هو من شكله وتقضيه بما هو من توابعه، فإذا تأخت تلك الكلمات لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة، وحديثاً أنفذ منه سحراً ويسمى المجاز المرشح (١).

أمثلة على الاستعارات المرشحة:

ومن الترشيح كذلك قوله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا أُقَتِّحُ الْعُقَبَةَ). والنجد هي الأرض المرتفعة، وهي هنا استعارة للخير والشر، وأصل النجد: الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل، وهي استعارة مشهورة في الطريق المرتفع عند العرب.

ومن الترشيح في الاستعارات التصريحية قوله تعالى: (وَأَمْنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ). فقد استعير الاشتراء هنا لا بدال شيء بآخر دون تبائع، ثم جيء بما يلائم الاشتراء تقوية للمعنى الحسي، وزيادة في تناسي التشبيه وهو (الثمن)، بمعنى أنه قد تم بيع وشراء على الحقيقة وقد قبض الثمن من المشتري، كما أن استعمال الاستعارة بصيغة (تشتروا) فيها دلالة على المبالغة والتأكيد في الشيء، إذ إنها تحيل على المبالغة والتكلف.

من ذلك قول البحري في مدح الفتح بن خاقان:

بلونا ضرائب من قد نرى	فما إن رأينا ((الفتح)) ضرباً
هو المرء أبدت له الحادثاً	تُ عزمًا وشيكاً ورأياً صليبا
تنقل في خلقي سودد	سماحاً مرجى، وبأساً مهيباً

فكالسيفِ إن جئته صارخاً، وكالبحرِ إن جئته مُستثيباً (٢)

ففي قوله (هو المرء) كأنه قال: فتح هو الرجل الكامل في الرجولية ثم حقق ذلك بقوله: (أبدت له الحادثات)، أما قوله (كالسيف) ثم تكرير (الكاف) في قوله: (كالبحر) ثم قرن بكل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه في ذلك التشبيه، وذلك قوله (صارخاً) و(مستثيباً). أما قوله الآخر في اعتذاره ليعقوب بن أحمد:

ولما نبت بي الأرضُ عُدْتُ إليكم أمْتُ بحبلِ الودِّ وهو رِمَامٌ

وقد يَهْتَدَى بالنَّجْمِ يُشْكِلُ سَمَتَهُ، ويُروى بماءِ الجفرِ وهو ذِمَامٌ (٣)

فأنه لما استعار (الحبل) لعلاقة الود، ذكر (الرمام) وهو من أوصاف الحبل، وقد أراد الشاعر بذلك أن يشير إلى أن العلاقة التي بينه وبين ابن يعقوب علاقة، وإن اشبهت الحبل في أنها تصل بين اثنين وصلاً وثيقاً، فإن (الحبل) الذي يمثلها حبل رمام أي ضعيف بال، ثم أردف ذلك بهذه الحكمة القوية وهذا التصوير المبين الذي يصف حالة الحاجة التي تلجئك لأن تهتدي بالنجم الغائر الملتبس شكله وسمته، والتي تدعوك أيضاً لتروي بماء البئر الحفر الذمام وهو الكدر القليل الماء.

وقد يقوم الترشيح على إثبات التعجب ونفيه، وقد ذكر عبد القاهر في دراسته للتخييل إن الشعراء قد يستعيرون الشيء للشيء، ثم يبالغون في تناسي التشبيه الذي بنيت الاستعارة عليه، ويضيفون إليه تناسباً آخر هو تناسي المجاز نفسه، وإيهام النفس أن الحديث يجري على الحقيقة، ويصوغون الكلام صياغات تؤكد هذا التناسي للمجاز، ويبتغون على ذلك

أموراً لطيفة يزداد بها الأسلوب دقة وجمالاً، وذلك كما في قول البحترى
يمدح المتوكل:

طلعتْ لَهُمْ وقتَ الشروقِ فعانوا سنّا الشمسِ من أفقٍ ووجهك
من أفقٍ

وما عانوا شمسينِ قبلَهُما التقى ضياؤُهُما وفقاً من الغربِ
والشرقِ (١)

فالشاعر عندما استعار للممدوح الشمس تناسى أنه استعار، وأدعى أن
هناك شمساً حقيقية، وأن أهل حمص حين رأوا المتوكل من جهة الغرب
إنما رأوا شمساً يشرق ضياؤها، في الوقت الذي يرون فيه شمساً تشرق
من جهة الشرق، وهذا مشهد عجيب لم يره أحد من قبل هذا الموقف، وقد
قال عبد القاهر في تعليقه على هذا البيت: ((معلوم أن القصد أن يخرج
السامعين إلى التعجب لرؤية ما لم يروه قط، ولم تجر العادة به، ولن يتم
للتعجب معناه الذي عناه، ولا تظهر صورته على وضعها الخاص، حتى
يجترئ على الدعوة جراءة من لا يتوقف ولا يخشى انكار مفكر، ولا يحفل
بتكذيب الظاهر له، ويسوم النفس شاعت أم أبت تصور شمس ثانية طلعت
من حيث تغرب الشمس فالتقتا معاً، وصار غرب تلك القديمة لهذه المتجددة
شرقاً)) (٢). وإذا بحثنا سبب التعجب في هذه الصورة وجدناه راجعاً إلى
تناقض حدث من تأكيد أن المشبه صار المشبه به قطعاً، ومع ذلك يسلك
مسلك المشبه، فشمس البحترى ماضية في طريقها إلى حمص من جهتها
الغربية، وهكذا تتجدد صورة الاستعارة القائمة على التناسي والإيهام عند
شاعرنا.

ومنها قولك: رأيت بحرا في المسجد تتلاطم أمواجه، فعبارة (تتلاطم أمواجه) تلائم المشبه به وهو البحر فتكون الاستعارة مرشحة.

ج - المجردة: هي التي قرنت بملائم المستعار له أي لمشبهه نحو: اشتر بالمعروف عِرْضَكَ من الأذى. و سَمَّيْتُ بذلك: لتجريدِها عن بعض المبالغة، لبعْدِ المشبَّه حينئذٍ عن المشبَّه به بعض بُعْدٍ؛ وذلك يبعد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة. ثم اعتبار الترشيح والتجريد، إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية َ ، فلا تعدُّ قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً، بل الزائد على ما ذكر.

أمثلة على الاستعارات المجردة:

نجد التجريد للاستعارة في قوله تعالى: (هو الذي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ َوَالْيَهُ النُّشُورُ). فاستعارة الذلول للأرض جاءت لتصوير تذليل الانتفاع بها تشبيها بالدابة المسوسة المرتاضة بعد الصعوبة، فجاء بالمناكب تجريدا للاستعارة على صيغة الجمع، ذلك أن الدابة الذلول لها منكبان فقط والأرض لها متسعَات كثيرة، والصورة تتضمن زيادة في تخيل الاستعارة لزيادة بيان تسخير الأرض للناس.

ومن التجريد الذي لحق التجارة في قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ). فقد استُعيرت التجارة للعمل الصالح للمشابهة في طلب النفع من ذلك العمل، ثم جاءت الجملة (تنجيككم من عذاب أليم) في سياق التعبير القرآني لتُجَرَّد الاستعارة من خصائصها، إذ إن النجاة من العذاب الأليم هي من ملائِمات المستعار له وهو العمل

الصالح أو(الإيمان)، وانما المشهد تصوير للمعنى الذهني وزيادة في تفصيلات الصورة الحسية، إذ تعتمد الصورة الإثارة والتشويق من خلال النداء، يعقبه الاستفهام المشوق للجواب بصورة التجارة الرباحة.

ومن نماذج هذا النوع عند البحثري قوله في المديح:

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد(١)

فلفظ (قمر) مستعار للممدوح بقريئة (الإيوان)، وقد قرنت بما يلائم المستعار له وهو (يؤدون التحية). فالشاعر هنا لا يتحدث عن القمر وانما عن يشبه القمر رفعة وعلو منزلة(٢)

وقولك: رأيت بحرا في المسجد يشرح كتاب جمع الجوامع، فعبرة (يشرح كتاب جمع الجوامع) تلائم المشبه وهو العالم، فتكون الاستعارة مجردة

٤- تقسيم الاستعارة باعتبار الأفراد والجمع:

تنقسم تبعاً لهذا إلى مفردة، وتمثيلية، والمفردة هي كل ما سبق، أما التمثيلية فهي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

مثال: قبل الرماء تملأ الكنائن (إذا قلته لمن يريد بناء بيت مثلاً قبل أن يتوافر لديه المال). وفي الاستعارة فإنك شبعت حال من يريد بناء بيت قبل إعداد المال له ، بحال من يريد القتال وليس في كنانته سهام، بجامع أن كلا منهما يتعجل الأمر قبل أن يعد له عدته، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية.

مثال: أنت ترقم على الماء (إذا قلته لمن يلح في شأن لا يمكن الحصول منه على غاية).

وفي الاستعارة فإنك شبهت حال من يلح في الحصول على أمر مستحيل، بحال من يرقم على الماء، بجماع أن كلا منهما يعمل عملاً غير مثمر، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية.

مثال: قول المتنبي:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُّرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

هذا البيت يدل وضعه الحقيقي على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مُرًّا، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعييون شِعْرَه لَعِيبٍ في ذوقهم الشعري. وضعف في إدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حالية، وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا حال المولعين بذمه والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مُرًّا.

مثال: ومن ملك البلاد بغير حرب..... يهن عليه تسليم البلاد

«يقال لمن يبعثر فيما ورثه عن والديه». فالمعنى الحقيقي للبيت هنا هو أن من يستولي على بلاد بغير تعب وقتال يهون عليه تسليمها لأعدائه. والشاعر لم يستعمل البيت في هذا المعنى الحقيقي، وإنما استعمله مجازياً للوارث الذي يبعثر فيما ورثه عن والديه لعلاقة مشابهة بينهما ولقرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

الكنـاية:

الكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا تركت التصريح به .

واصطلاحاً: لفظٌ أريد به غيرُ معناه الذي وضعَ له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو : « زيدٌ طويلٌ النجادُ » تريد بهذا التركيب أنه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيءٍ تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالةِ السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسمِ الشجاعةُ عادةً، فإذا: المراد طولُ قامته، وإن لم يكن له نجادٌ، ومع ذلك يصحُّ أن يراد المعنى الحقيقي ، ومن هنا يعلمُ أنَّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحةُ إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز، فإنه ينافي ذلك، نعم: قد تمتنعُ إرادةُ المعنى الأصلي في الكناية، لخصوصِ الموضوعِ كقوله تعالى : (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [الزمر/٦٧]) ، وكقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه/٥]) كنايةً عن تمام القدرة، وقوة التمكن والاستيلاء .

ويعد الأسلوب الكنائي واحداً من الأساليب الفنية التي لجأ إليها الأدباء والشعراء للتعبير عن تجاربهم، وتوصيلها إلى المتلقي الذي يظل مشدوداً إلى النص؛ لأن أسلوب الكناية يتكئ في إنتاج الدلالة والتأثير على الخفاء، وليس الظهور والتصريح، فالمبدع لا يلجأ إلى الدلالة مباشرة، والكناية من أساليب الإبداع الأدبي في التعبير، ومن أسرار البلاغة العربية في الكلام أن يأتي المعنى في سياق التراكيب البيانية المتجددة، وصياغات الصور الخيالية المتميزة، التي تخفي في نصوصها، معاني إنسانية عميقة، أو أغراض فنية متداولة وعندئذ تكون مثاراً لتشويق السامع، وسبباً في جذب الانتباه، وإذكاء العقول، وإعجاب الألباب.

وكان الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) أول من تناول الخليل لفظة الكناية في معجمه في مادة "كنى" وعرفها بأنها "كنى فلان عن كذا وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه نحو الجماع والغائط والرفث ونحوه، والكناية للرجل" ()، ويحمد للخليل أن دار تعريفه حول الأمثلة التي تعطي للقاريء بعداً بلاغياً حول الخفاء والتجلي اللذين يدور حولهما التعريف الاصطلاحي للكناية، ونجد سيبويه (ت ١٨٠هـ) ووردت الكناية عند سيبويه في كتابه "الكتاب"، وذلك حين عده في باب ما سماه "ما جرى مجرى كم في الاستفهام"، ونجده يقول: "وذلك كقولك: له كذا وكذا درهماً، وهو مبهم في الأشياء بمنزلة كم وهو كناية للعدد بمنزلة فلان إذا كنيته به في الأسماء" ()، وأما الفراء (ت ٢٠٧هـ)، فنجد الكناية تأتي عنده في تناوله لتفسير بعض الآيات الكريمات من القرآن الكريم، مثل تناوله للضمير في قوله تعالى "فأتوا بسورة من مثله" ()، يقول: "الهاء كناية عن القرآن (فأتوا بسورة من مثل القرآن)" ()، وتطوّر المعنى الكنائي من الدلالة من الضمير به إلى المعنى الذي يكنى به من الكلمة على كلمة أخرى.

وتحدث عبد القاهر عن الكناية وذلك في كتابه "دلائل الإعجاز"، وفيه مادة غزيرة عن الكناية، وهو يتحدث عنها من جانبين: الأول: إما يحدها أو يعرفها، والجانب الثاني: الكشف عن بلاغتها وقيمتها الفنية في أداء المعاني، ونبه على دلالتها الأساسية في بعض النصوص مع الأساليب الأخرى. وهو يعرفها بأنها: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيوميء به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال قولهم: هو طويل

النجاد يريدون طويل القامة، وكثير رماد القدر، يعنون كثير القرى، وفي المرأة: نؤوم الضحى والمراد أنها مترفة مخدومة" ()،

أنواع الكناية في البلاغة العربية:

أولاً: الكناية عن صفة :

وهي يقصد بها الكناية التي يراد بها الصفة نفسها التي يدور حولها الكلام المُساق وتعددت الكنايات التي جاءت لصفات عديدة، ككنايات الكرم والسخاء، والشجاعة والقوة والفصاحة والبلاغة، والعزة والأصالة، والضعف والهوان، والدناءة واللوم والحقارة والسوء والقبح، والتقوى والورع والعدل، والضجر واليأس، وتوزعت على أجزاء الديوان بنسب متفاوتة أظهرت براعة ابن المقرب الشعرية، وقدرته على جعلها حجة قوية على ما يريد إثباته والتأكيد عليه، وجاءت كالتالي:

مثال: تقول: (فلانٌ نظيفُ اليد) تكني عن العفة والأمانة، وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام. وكما يقال (الصديق) تعني أبا بكر رضي الله عنه ، وكذلك الفاروق تعني عمر رضي الله عنه ، وأمين هذه الأمة ، تعني أبا عبيد بن الجراح رضي الله عنه ، وسيف الله المسلول ، تعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكما ورد في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) } وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} سورة الأحزاب (٤٦) ، فهذه كلها صفات للنبي صلى الله عليه وسلم

وكقول المتنبي :

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابٌ

ومنها قول ابن المقرب:

وفيهـم رِبَاطُ الْمُكْرَمَاتِ وَرَاثَةٌ يُورَثُهَا الْمَوْلُودُ وَالِدُهُ
النَّدْبُ

فالتركيب اللفظي (فيهـم رباط المكرمات وراثة)، يرشد القاريء بمهارة
واقترار إلى كناية الكرم والعطاء اللذين يتمتع بهما - وغيرهما من صفات
أخرى - ممدوحه،

ومن الكناية قول البحري:

يَغْضُونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَأَ لَهُمْ عَنْ مَهِيْبٍ فِي الصَّدُورِ
مُحَبِّبٍ (١)

فقد كنى الشاعر عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهـم إياه، بغض الأبصار
وهو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال.

ويكفي ما للكناية من وثيق الصلة بالقرآن الكريم، ومعانيه الشريفة،
إضافة إلى شغف العرب بالكناية، وافتنانهم بها، وافتنانهم فيها، فالكناية
لون من ألوان التعبير البياني، وقد عني بها نقاد العرب، وعرفوا لها
مكانتها في الإيضاح والتأثير؛ لأنها وردت كثيراً في كلام العرب والقرآن
الكريم، وكانت، في كتاب الله، موحية، وموجزة، ومصورة للمعاني خير
تصوير، وكانت مؤدبة مهذبة تتجنب ما ينبو على الأذن سماعه كما رأينا
من خلال استعراضنا لأسلوب الكناية في الأمثلة.

الكناية عن موصوف:

وهي الكناية المطلوب بها نفس الموصوف، والكناية في هذا القسم تقرب وتبعد، فالقريبة هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض، فتذكرها متوصلاً بها إلى ذلك الموصوف، مثل أن تقول: جاء المضيف، وتريد زيداً لعارض اختصاص للمضيف بزيد، والبعيدة هي أن تتكلف بأن تضم إلى لازم آخر وآخر، فتلق مجموعاً وصفيّاً مانعاً من دخول كل ما عدا مقصودك فيه، مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان: "حي مستوي القامة، عريض الأظفار".

كما تقول (الناطقين بالضاد) تكني عن العرب، و (دار السلام) تكني عن بغداد، و(طيبة) كناية عن المدينة المنورة، وتعرف بذكر الصفة مباشرة، أو ملازمة، ومنها قولهم: (هو حارس على ماله) كنوا به عن البخل الذي يجمع ماله، ولا ينتفع به، ومنها قولهم: (هو فتى رياضي) يكون عن القوة - وهلم جرا، وكقوله تعالى: { وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ } [القمر/١٣] كناية عن السفينة، والدر المسامير.

و من أمثلة ذلك قول البحري في قصيدته التي يذكر فيها قتله للذئب:

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته..... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها على..... كوكب ينقض و الليل مسود

فما ازداد إلا جرأة و صرامة و أيقنت أن الأمر منه هو الجد

فأتبعها أخرى فأضلت نصلها بحيث يكون اللب و الرعب و

الحقد

ففي قول البحتري في البيت الأخير «بحيث يكون اللب و الرعب و الحقد» ثلاث كنايات لا كناية واحدة، لاستقلال كل واحدة منها بإفادة المقصود. فالبحتري يريد أن يخبرنا أنه طعن الذئب أولا برمحه طعنة خرقاء لم تزده إلا جرأة و صرامة و لهذا أتبع الطعنة الأولى طعنة أخرى استقر نصلها في قلب الذئب. ولكنه بدل أن يعبر هذا التعبير الحقيقي الصريح نراه يعدل عنه إلى ما هو أبلغ و أشد تأثيرا في النفس، و ذلك بالكناية عن القلب ببعض ().

و منها ما قاله أبو نواس في وصف الخمر:

فلما شربناها و دب ديبها إلى موطن الأسرار قلت لها:
قفي

مخافة أن يسطو عليّ شعاعها فيطلع ندماني على سرّي
الخفي

فالكناية في البيت الأول و هي «موطن الأسرار». يريد أبو نواس أن يقول: «فلما شربنا الخمر و دب ديبها، أي سرى مفعولها إلى القلب أو الدماغ قلت لها: قفي». و لكنه انصرف عن التعبير بالقلب أو الدماغ هذا التعبير الحقيقي الصريح إلى ما هو أملح و أوقع في النفس و هو «موطن الأسرار»، لأن القلب أو الدماغ يفهم منه أنه مكان السر و غيره من الصفات. فالكناية «بموطن الأسرار» عن القلب أو الدماغ كناية عن «موصوف»، لأن كليهما يوصف بأنه موطن الأسرار.

ومنها ما قاله شاعر في رثاء من مات بعلّة في صدره:

و دبت له في موطن الحلم علة لها كالصلال الرقش شرّ
دبيب

فلفظ الكناية هنا هو «موطن الحلم»، و من عادة العرب أن ينسبوا الحلم إلى الصدر، فيقولون: فلان فسيح الصدر، أو فلان لا يتسع صدره لمثل هذا، أي لا يحلم على مثل هذا.

و لو شاء الشاعر أن يعبر عن معناه هنا تعبيراً حقيقياً صريحاً لقال: «ودبت له في الصدر علة»، و لكنه لم يشأ ذلك و أثر التعبير عنه كنائياً بقوله: «ودبت له في موطن الحلم علة» لما له من تأثير بليغ في النفس، إذ الصدر موضع الحلم و غيره من الصفات. فالكناية «بموطن الحلم» عن الصدر كناية عن «موصوف» لأن الصدر يوصف بأنه موطن الحلم و غيره.
الكناية عن نسبة:

وهي الكناية التي يراد بها نسبة أمرٍ لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنى عنه نسبةً، أسندت إلى ما له اتصال به.

مثال: قولنا: (العزُّ في بيته) فإن العزَّ ينسبُ للشخص وليس للبيت هنا فهي كناية نسبة

ومنه قولنا: المجدُّ بين ثوبيك والكرمُ ملء بُرديك .

ومنها قول (البحتري):

أما رأيتَ المجدَّ ألقى رحلَه في آل طلحة ثم لم يتحول ؟

فالبحتري ينسب المجد والشرف إلى آل طلحة دون غيرهم من الناس جميعاً.

ومنه قول أي نواس:

فما جازه جوّد ولا حلّ دونه //// ولكن يصيرُ الجوّدُ حيثُ يصير .

فأبو نواس ينسب الجود مكان سير الممدوح فأينما يكون فهو تابع له.

ومنها قول الشاعر زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى //// في قبة ضُربت على ابن الحشرج ()

فإنه حين أراد ألاّ يصرح بتخصيص السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج والمروءة والندى له، فإن الطريق إلى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح؛ إما الإضافة أو معناها،

وإما الإسناد أو معناه، فالإضافة كقولك: سماحة ابن الحشرج، أو سماحته، مُظهراً كان المضاف أو مضمراً، ومعناها كقولك: السماحة لابن الحشرج أو السماحة له، والإسناد كقولك: سمح ابن الحشرج، أو حصل السماحة، ومعناه: كقولك ابن الحشرج سمح بتقدير ضمير ابن الحشرج في سمح العائد إليه كما هو، أعني تخصيص الصفة بالموصوف مصرح به في جميع ما تقدم من الأمثلة، فالشاعر جمع السماحة والمروءة والندى في قُبة تنبيهاً بذلك أن محلّها محلُّ ذي قبة، محاولاً بذلك اختصاصها بابن الحشرج.

والكناية المطلوبُ به نسبةٌ نوعان:

أ - إمّا أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها، كقول الشاعر :

الأيمنُ يتبعُ ظلّه المجدُّ يمشي في ركابه

ب - وإمّا أن يكونَ ذو النسبة غيرَ مذكور فيها: كقولك: خيرُ الناس منْ يَنْفَعُ الناسَ، كناية عن نفي الخيرية عن لا يَنْفَعُهُمْ. وكقوله -صلى الله- « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » .

ومنها قوله (ص): "الخليل معقود بنواصيها الخير" كناية عن نسبة الخير إلى الخيل.

ومنها قول المتنبي: وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ.. (المعنى الظاهر: سماع الأصم لشعر المتنبي؛ وهذا ما دل على كناية السمع، وهي صفة موجودة في كل إنسان، ولكن الأصم: هو الإنسان الذي لا يسمع، ويستنتج المعنى المخفي من البيت، أن المتنبي قاله: لمدح نفسه وشعره). كناية عن الموصوف إلى الصفة: الشعر إلى المتنبي دون غيره.

مثال: قال أعرابي: "دخلت البصرة فإذا بثياب أحرار على أجساد عبيد، (يعني ثيابهم حسنة ولكنهم مقيدون بنظام المدينة) فهذا كناية لنسبة العبودية لهؤلاء الأحرار دون غيرهم.

ومنها أيضا قول ابن المقرب:

تَرَعَرَعَ الْمُلْكُ فِي أُبْيَاتِنَا وَنَشَا حَتَّى اسْتَوَى وَمُرَبِّيهِ
مُرَبِّنَا.

وتكون هكذا أقدر على النفاذ إلى قلب القاريء، وعقله، من التعبير الحرفي التقريري للمعنى نفسه، وكلما توغل المتلقي في العبارة كلما أوغل في النفاذ للمعاني بقوة، لما تمثله الكناية من مبالغة في التعبير عن تمكن الملك عند هؤلاء، وهو التأكيد الذي يبغيه ابن المقرب، فإنه "وجب أن تكون الأقاويل الشعرية أشد الأقاويل تحريكاً للنفوس؛ لأنها أشد إفصاحاً عما به

علقت الأغراض الإنسانية، إذ كان المقصود بها الدلالة على أعراض الشيء ولواحقه...." ()، والتي تظهر للمتلقى من خلال الفهم الجيد للكنية وفائدتها، والتي تمكن القارئ من معرفة الحال التي كان عليها قوم ابن المقرب من القوة والغلبة والسيطرة على مقاليد الحكم دون منازع.

ثالثاً: مع علم المعاني وأبرز مباحثه:

- | | |
|-------------------------|---------------------------------|
| ١ - الإنشاء | ٢ - الخبر |
| ٣ - أحوال متعلقات الفعل | ٤ - الإسناد |
| ٥ - القصر | ٦ - التقديم والتأخير |
| ٧ - الفصل والوصل | ٨ - الإيجاز والإطناب والمساواة. |

**- التعريف بعلم المعاني:

ليس في كتب البلاغة إشارة إلى من أو متى استخدم هذا المصطلح إلا أنّ هنالك إجماع بين كل الباحثين في علم البلاغة العربية على أنّ السكاكي ٥٦٢٦ هـ في كتابه (مفتاح العلوم) هو أول من أشار إلى علم المعاني مصطلحا بلاغيا عندما قسم البلاغة إلى علومها الثلاثة معان وبيان ومحسنات لفظية ومعنوية وقد جعل السكاكي علم المعاني العلم الأول من علم البلاغة العربية وعرفه بقوله (هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره) وعلى الرغم من دقة هذا التعريف وتعرضه لقضايا مهمة تعد أصولا يقوم عليها علم المعاني كما سنلاحظ في الشرح والتوضيح فإننا نجد الباحثين في كتب البلاغة المقررة والتدريسية يفضلون عليه تعريف الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة.

ويقوم عليها علم المعاني إذ لا علم من دون قوانين ومصطلحات ومفاهيم يعمل بها ذلك العلم ونقرر بواسطتها ما هو الصح وما هو الخطأ . ٢- أحوال اللفظ العربي يراد بها الهيئات والأشكال التي يظهر فيها ويتجلى من خلالها كلامنا العربي عندما نتكلم أو نكتب . ٣- يطابق أي يماثل أو ينسجم أو يأتلف . ٤- مقتضى الحال وهو حالة أو هيئة أو وضعية يكون عليها كل من المتكلم والمخاطب أثناء صناعة الكلام سواء أكان مشافهة أم كتابة . إنّ مقتضى حال المتكلم هو المقاصد والمعاني والأغراض التي يريد المتكلم أو الكاتب إيصالها إلى الطرف الثاني وهو المخاطب أو المستمع أو المتلقي ويعبر المتكلم عن مقاصده بواسطة الكلام أما مقتضى

حال المخاطب فهو طبيعة أو حالة أو هيئة الطرف الثاني المتلقي سواء أكانت نفسية أو اجتماعية أو فكرية أو عاطفية أو جنس المتلقي ذكرًا كان أم أنثى وعمره ومدى ذكائه ومعارفه وخبراته في الحياة فكل هذه الأمور تأخذ بالحسبان من لدن المتكلم عند صناعة الكلام ومما يشترطه علم المعاني وجد تطابق بين مقتضى حال المتكلم ومقتضى حال المخاطب مع نوع الكلام ماذا يعني ذلك ؟ يعني أن المتكلم إذا ما أراد الحديث أو الكتابة حول معنى أو فكرة أو قصد مثلا فعليه أن يطابق بين هذه الفكرة وكيفية صناعة كلامه

ويهتم علم المعاني بأنواع الجمل والتراكيب المستخدمة في صناعة الكلام ولا يهتم كثيرا بالألفاظ المفردة ولذلك ستكون الموضوعات هي : الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والفصل والوصل والقصر والإيجاز والإطناب يلاحظ الطالب وجود علاقة متينة بين علم المعاني والنحو العربي فعلم المعاني هو استخدام التراكيب النحوية استخداما بليغا لتحقيق الفائدة والتأثير والإبداع الجمالي .

شاهد تطبيقي وتحليلي : هل يلاحظ الطالب فروق مغنوية ونحوية في قولنا:

١- الله يرزقنا ٢- الله رازقنا ٣- يرزقنا الله

٤- إنما يرزقنا الله ٥- فاضت علينا السماء

بالخير

** - علم المعاني:

وقال السكاكي : (علم المعاني : هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقضي الحال ذكره) () . وقال آخرون : هو علم يعرف به مطابقة الكلام لمقتضى الحال عند العرب .

موضوعات علم المعاني : - أحوال الإسناد الخبري - أحوال المسند إليه - أحوال المسند

- أحوال متعلقات الفعل - القصر - الإنشاء - الفصل والوصل - الإيجاز والإطناب والمساواة - التقديم والتأخير .

١ - الإنشاء : الإنشاء لغة : الابتداء ، والخلق ، والابتداع

واصطلاحاً : كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب ؛ لأنه نابع من الشعور والإحساس الداخلي للإنسان ، ويعتمد على دقات شعورية لا يمكن تكذيبها ، وقد علل البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء لأنه يدل على حدث لم يقع من قبل ، وفرّقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك ، يقول الخطيب القزويني : ووجه الحصر أنّ الكلام إما خبر أو إنشاء لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج الأول : الخبر ، والثاني : الإنشاء ()

وليس معني قولنا : الإنشاء لا يحتمل الصدق والكذب أنه غير صالح لأن يوصف بالصدق والكذب ، وإنما معناه : أن المقصود بأساليبه ليس هو الحكاية مع أن وجود النسبتين الكلامية والخارجية اللذين يكون الصدق بمطابقتها والكذب بعدم مطابقتها قائم فيه ()

فائدة علم المعاني ::

(١)- معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصّه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف، وبراعة التراكيب، ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

وكذلك معرفة أسرار كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أبلغ البلغاء، وأفضل من نطق بالصاد، وذلك ليصار للعمل بها، ولاقتفاء أثره في ذلك.

(ب) -الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة- في منشور كلام العرب ومنظومه- كي تحتذي حذوه، وتنسج على منواله، وتفرق بين جيد الكلام ورديئه.

(٤) وواضعه - الشيخ (عبد القاهر الجرجاني) المتوفى سنة ٤٧١ هـ

(٥) واستمداده - من الكتاب الشریف، والحديث النبوي وكلام العرب.

الكلام قسمان: خبر وإنشاء:

فالخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا.

مثل: إن البخيل وإن أفاد غنى // ل ترى عليه مخايل الفقر

والإنشاء: ما لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب

كقول الشاعر: لا تلق دهرك إلا غير مكترث // ما دام يصحب فيه

روحك

أبواب علم المعاني:

أولاً: الخبر:

أ- ركن الخبر: لكل جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان: محكوم عليه ويسمى مسنداً إليه، ومحكوم به ويسمى مسنداً، وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصلة فهو قيد عليه.

ب- الغرض من إلقاء الخبر:

الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى ذلك الحكم (فائدة الخبر). مثل: ولد النبي ﷺ عام الفيل.

إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى ذلك (لازم الفائدة)

مثل: "أنت تعمل في حديقتك كل يوم".

قد يلقي الخبر لأغراض أخرى تفهم من السياق، منها ما يأتي:

١- إظهار التحسر: ﷻ رب إني قومي كذبون ﷻ

الحث على السعي والجد: كقول الشاعر:

وليس أخو الحاجات من بات نائماً // // // // // // // // // //
على وجل

٢- المدح: وهو أن يمدح المرء شخصاً آخر لغاية معينة.

ومثال ذلك: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إنكم لتكثرلون عند الفرع وتقلون عند الطمع.

الغرض من الخبر المدح لأن المقصود بالخبر ليس فائدة المخاطب، أو لازم الفائدة ، وإنما أرسل على سبيل المدح لأولئك الذين يتكاثرون ساعة إعلان الجهاد طمعاً برضاء الله أكثر من حبهم للغانم.

٣- الذم أو التوبيخ: وهو أن تذم أو تؤنب وتوبخ إنساناً قام بعمل لا يليق به أو أنه كان قد خالف أقواله:

مثال: قال شوقي:

اليوم أخلفت الوعودَ حكومةً // كنا نظن وعودها الإنجيلا

الغرض من الخبر الذم لأن الحكومة الإنجليزية قطعت على نفسها وعوداً لم تنفذها فخالفت أفعالها ما كان لها من وعود سابقة.

٤- الفخر: وهو أن تفخر بنفسك أو بأهلك أو ببلدك .

الفخر: كقول الشاعر: إذا بلغ الفطام لنا صبي // تخر له الجبابرة
ساجدين

وما قاله أبو فراس الحمداني:

وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ، وَمَنْزِلِي // مَأْوَى الْكِرَامِ، وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ

٥- إظهار الفرح بما هو آت:

ومنه ما قاله شوقي: ويا وطني، لقيتك بعد يأسٍ // كأي قد لقيت بك
الشبابا

الغرض من الخبر إظهار الفرح ؛ لأن الخبر لم يلق لفائدة المخاطب أو لازم الفائدة وإنما كان القصد منه إظهار مشاعر الفرح التي غمرت قلب الشاعر ساعة لقائه بوطنه.

٦- إظهار الحزن والتحسر على شيء محبوب، أو على ما فات، أو على أمر حصل. ومنه ما قاله الشاعر:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ // وبقيت في خلف كجلد الأجرَبِ

الغرض من الخبر إظهار الحزن؛ لأن المقصود من الخبر إظهار ما في الصدر من مشاعر الحزن والقلق والتحسر على أولئك الذين ذهبوا مع الأيام، وبقي الشاعر وحيداً غريباً مع أناس ليسوا أهلاً للصحبة.

٧- إظهار الضعف والعجز ، والخشوع : ومنه قوله : "رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً" وقول الشاعر:

حننتي حانيات الدهر حتى //// كأني خائل أدنو لصيد

بطيء الخطو يحسب من يراني /// ولست مقيداً أمشي بقيد
خائل: صائد.

٨- التوجيه والنصح والإرشاد:

ومنه قول بشار:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً // صديقك لم تلق الذي لا تُعاتبه.

الغرض من الخبر النصيح والإرشاد ؛ لأن الشاعر لم يقصد فائدة المخاطب، أو لازم الفائدة ، وإنما أرسل الخبر ناصحاً ومرشداً ، وموجهاً، بألا يعاتب المرء أصدقاءه على كل هفوة فيفقدهم.

٩- الاسترحام والاستعطاف: ومنه قوله: " رب إني لما أنزلت إلي من خير فقّي "

ومعناه أن يطلب أحدهم الرحمة ويثير في النفس الشفقة ؛ لينال العفو على ذنب كان قد هم به.

مثال: إني فقير إلى عفو ربي.

فليس القصد فائدة المخاطب أو لازم الفائدة ، وإنما أرسل الخبر على سبيل الاسترحام والاستعطاف عسى أن ينال عفو ربه.

ج- أضرب الخبر:

للمخاطب ثلاث حالات:

١ - أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي عليه الخبر من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً.

مثل: "أخوك قادم"

٢ - أن يكون متردداً في الحكم طلباً أن يصل على اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويسمى هذا الضرب طلبياً.

مثل: "إن أخاك قادم".

٣ - أن يكون منكرا له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا، ويسمى هذا الضرب إنكاريا.

مثل: "والله إن أخاك قادم".

لتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها: إن، وأن والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه، وأحرف الزائدة، وقد، وأما الشرطية.

د- خروج الخبر عن مقتضى الظاهر:

١ - إذا ألقى الخبر خاليا من التوكيد لخالي الذهن، ومؤكدا استحسانا للسائل المتردد، ومؤكدا وجوبا للمنكر، كان ذلك الخبر جاريا على مقتضى الظاهر.

٢ - وقد يجري الخبر على خلاف ما يقتضيه الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم ومن ذلك ما يأتي:

٣ - أن ينزل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر.

كقوله تعالى: "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
إنهم مغرقون"

٤ - أن يجعل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه.

كقول الشاعر: جاء شقيق عارضا رمحه // إن بني عمك فيهم
رماح

هـ - أن يجعل المنكر كغير المنكر إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عن إنكاره. كقوله تعالى: ﴿وَالْهَكَمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وينقسم الإنشاء إلى: طلبي، وغير طلبي

الطلبي: ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوباً حاصلًا عند الطلب إلاّ أنّه يُنشِئُ أمراً مرغوباً في إنشائه، وله صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم، والتعجب، وأفعال المقاربة، وصيغ العقود، والقسم، وقد استبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني لأن هذه الأساليب أخبار نقلت إلى الإنشاء (وفي هذا نظر!!!)

يقول العلامة التفتازاني: فالإنشاء إن لم يكن طلباً كأفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، ونحو ذلك، فلا يبحث عنها هاهنا، لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها أو لأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء (وعليه فإن دراستنا ستكون لأنواع الإنشاء الطلبي: الأمر، والنهي، والنداء، والتمني، والاستفهام

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء:

ثانياً: الإنشاء:

الإنشاء نوعان طلبي وغير طلبي:

فالطلبي ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالتالي:

بالأمر نحو: "أحب لغيرك ما تحب لنفسك".

والنهي : "لا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت".

والاستفهام: نحو: ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى
السيوف مضاربا

والتمني، نحو:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا

والنداء، نحو:

يا من يعز علينا أن نفارقهم // // // // // وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وغير الطلبي ما لا يستدعي مطلوبا، وله صيغ كثيرة منها:

التعجب: نحو: "ما أحسن زيدا"، وقوله تعالى: [كيف تكفرون بالله وكنتم
أمواتا فأحياكم]، ونحو: "لله دره فارسا".

المدح: نحو: "نعم البديل من الزلة الاعتذار"

الذم، نحو: "بئس العوض من التوبة الإصرار".

القسم، كقول الشاعر:

لعمرك ما بالعلم يكتسب الغنى // // // // // ولا باكتساب المال يكتسب العقل

أفعال الرجاء، كقول الشاعر:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة // // // // // من الوجد أو يشفى شجي البلابل

وقال آخر:

عسى سائل ذو حاجة إن منعه // // // // // من اليوم سؤلا أن يكون له غد

٦ - صيغ العقود.

الإنشاء الطلبي:

أولاً: الأمر:

- الأمر: طلب الفعل على وجه الاستعلاء. - وله أربع صيغ:

١- فعل الأمر، نحو: "عَلِّمَ الجاهل، وذاكر العالم".

٢- المضارع المقرون بلام الأمر، كقوله تعالى: "وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق"

٣- اسم فعل الأمر، كقوله تعالى: "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"

٤ - المصدر النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالى: [وبالوالدين إحساناً]، "سعيًا إلى الخير".

-#قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام مثل:

١. الإرشاد، كقوله تعالى: "إذا تداینتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه".

٢. الدعاء، كقوله تعالى: [رب أوزعني أن أشكر نعمتك].

٣. الالتماس، كقولك لصديقك: "اعطني الكتاب".

٤. التمني، كقول الشاعر: يا ليل ظل يا نوم زل // يا صبح قف لا تطلع

٥. التسوية، كقوله تعالى: "فاصبروا أو لا تصبروا".

٧. التعجيز، كقوله تعالى: "فادروا عن أنفسكم الموت"

٨. التهديد، كقوله تعالى: "اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير".

٩. الإباحة، نحو "تزوج هنداً أو أختها".

١٠. الإهانة، كقوله تعالى: " قل كونوا حجارة أو حديدًا".

ثانياً: النهى:

- النهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء

- **لنهي صيغة المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا).**

- قد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال مثل:

١. الدعاء، كقوله تعالى: "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا".

٢. **الالتماس، كقولك لمن يساويك: "لا تتوان عن تحصيل العلوم"**

٣. التمني، نحو: "لا تطلع" في قوله:

يا ليل ظل يا نوم زل // يا صبح قف لا تطع

٤. الإرشاد، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾.

٥. التوبيخ، كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله // عار عليك إذا فعلت عظيم

٦. التَّيَّيسُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾.

٧. التهديد، كقولك لخادمك: "لا تطع أمري".

٨. التحقير، كقول الشاعر:

لا تشتتر العبد إلا والعصا معه // إن العبيد لأنجاس مناكيد

ثالثًا: الاستفهام وأدواته:

- الاستفهام: طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وله أدوات كثيرة منها:

١- الهمزة: ويطلب بها أحد أمرين:

أ- التصور: وهو إدراك المفرد، وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوة بالمسنول عنه ويذكر له في الغالب معادل بعد "أم"، نحو: "أأنت المسافر أم أخوك؟".

ب- التصديق: وهو إدراك النسبة، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل، نحو: "أيصدا الذهب؟".

٢- "هل" ويطلب بها التصديق ليس غير، ويمتنع معها ذكر المعادل، نحو: "هل جاءك صديقك؟".

٣- "من" ويطلب بها تعيين العقلاء، نحو: "من أول من أسلم من الرجال؟".

٤- "ما" ويطلب بها شرح الاسم أو حقيقة المسمى

٥- "متى" ويطلب بها تعيين الزمان ماضيا كان أو مستقبلا، نحو: "متى جئت؟" و "متى تذهب؟".

٦- "أيان" ويطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة وتكون في موضع التهويل، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا؟﴾.

٧- "كيف" ويطلب بها تعيين الحال، نحو: "كيف جئت؟".

٨- "أين" ويطلب بها تعيين المكان، نحو: "أين تذهب؟".

٩- "أنى" وتأتي لمعان منها:

أ- بمعنى "كيف" نحو قوله تعالى: ﴿أَنى يحيي هذه الله بعد موتها؟﴾.

ب- وبمعنى "من" نحو قوله تعالى: ﴿أنى لك هذا؟﴾.

ت- وبمعنى "متى" نحو: "أنى يحضر الغائبون؟".

١٠- "كم" ويطلب بها تعيين العدد نحو قوله تعالى: ﴿كم لبثتم؟﴾.

١١- يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو قوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ ويسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه

وجميع الأدوات المتقدمة يطلب بها التصور، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعان أخرى تستفاد من سياق الكلام ويكون الفيصل في فهم مرادها هو فهم السياق ودلالة الأداة به، ومنها:

١- النفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ؟﴾.

٢- الإنكار، كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ؟﴾.

٣- التقرير، كقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك شركك﴾.

٤- التوبيخ، كقول الشاعر:

إلام الخلف بينكم إلاما // // // // // وهذه الضجة الكبرى علاما

٥- التعظيم، كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

٦- التحقير، نحو: "أهذا الذي مدحته كثيرا".

٧- الاستبطاء، كقوله تعالى: ﴿متى نصر الله﴾.

٨- التعجب، كقوله تعالى: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾.

٩- التسوية، كقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

١٠- التمني، كقوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾.

١١- التشويق، كقوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾.

رابعاً: التمني:

التمني طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله:

- إما لكونه مستحيلاً، كقوله:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

- وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيّله، كقول المعسر: "ليت لي ألف دينار".

اللفظ الموضوع للتمني "ليت".

وقد يتمنى بـ "هل" و "لو" و "لعل" لغرض بلاغي.

مثل: - قال تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟﴾.

- قال تعالى: ﴿فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين؟﴾.

- قال الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه // علي إلى من قد هويت أطيّر
إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا ويعبر فيه بـ
"لعل" أو "عسى" كقوله تعالى: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ ﴿فعسى
الله أن يأتي بالفتح﴾ وقد تستعمل فيه "ليت" لغرض إبراز المرجو في
صورة المستحيل مبالغة في بعد نيل، كقول الشاعر: فيا ليت ما بيني
وبين أحبتي // من البعد ما بيني وبين المصائب

خامسا: النداء:

النداء طلب النداء بحرف نائب مناب أدعو ، أدوات النداء (ثمانية) ٨ أدوات هي:

(يا) و (الهمزة) و (أي) و (آ) و (أي) و (أيا) و (هيا) و (وا). لنداء القريب منها: الهمزة وأي، وغيرهما لنداء البعيد.

- وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي إشارة إلى قربهِ من القلب وحضوره في الذهن

- وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي إشارة إلى:

١- علو مرتبته، نحو: "أيا مولاي" وأنت معه.

٢- أو انحطاط منزلته، نحو: "أيا هذا" لمن هو معك".

٣- أو غفلته وشروء ذهنه، كقولك للساهي: "أيا هذا".

ويخرج النداء عن معناه الأصلي على معان أخرى تستفاد من القرائن مثل:

الغرض الأول – التحسر : ويكون بأن التحسر المرء على شيء مضى، أو على حبيب فارقه

قال ابن الرومي: يا شبابي، وأين مني شبابي ؟ أدنتني
حباله بانقضاب

صيغة النداء: يا شبابي، والغرض منه : التحسر على ما مضى من الشباب،
وليس طلباً لإقبال شخص ما ..

الغرض الثاني – الزجر : ويكون بأن تزجر أحدهم عن القيام بعمل قد
يترتب عليه أذى كبير، أو أن يزجر المرء نفسه .

ومنه ما قاله الشاعر: أفوادي متى المتاب ألمّا // تصح
والشيب فوق رأسي ألمّا

فصيغة النداء: أفوادي الغرض منه: الزجر : فالشاعر يزجر نفسه بالإقلاع
عن عادات يترتب عليها أذى كبير، وليس استدعاءً لشخص ما ..

الغرض الثالث – الأغراء : ويكون بأن تستعمل النداء على سبيل الإغراء

..

قال المتنبي : يا أعدل الناس إلا في معاملتي // // // // // فيك الخصام وأنت
الخصم والحكم

صيغة النداء: يا أعدل الغرض منه: إغراء المنادي، بأنه يمتاز عن غيره
من الناس بالإنصاف والعدل لقضاء حاجة المتكلم، وليس طلباً له ليُقبل
عليه.

الغرض الرابع – التعجب: وهو أن تستعمل النداء متعجباً من شيء وذلك
كأن تقول لليل الذي مللت من طوله: يا له من ليل طويل ! أو أن تقول
متعجباً من قدرة طير على الطيران : يا له من طير رائع !

الغرض الخامس – الفخر : وهو أن يفخر المرء بنفسه أو بقومه .. مثال
ذلك: أنا أكرم الضيف أيها الرجل ! فصيغة النداء: أيها الرجل .. والغرض
منه: التفاخر؛ فالشاعر لم يقصد بالنداء دعوة لإقبال شخص، وإنما أرسل
النداء على سبيل التفاخر بأنه من الذين يكرمون الضيف ..

الغرض السادس – التواضع : مثال: يا رجل أنا مسكين ! فصيغة النداء:
يا رجل .. الغرض منه: التواضع؛ لأن المقصود هنا إظهار التواضع
للمخاطب، وليس نداءه .

الغرض السابع – الاستغاثة : وهي صرخة توجه إلى أولئك الذين يعينون
على دفع البلاء، وإزالة الشدة .. مثال: يا للقوي للضعيف ! فصيغة النداء:
يا للقوي .. والغرض منه: الاستغاثة ؛ لأن المقصود بالنداء في هذا المثال

ليس طلب للمخاطب، وإنما صرخة وجّهت للقوي على سبيل الاستغاثة ليمد يده وينقذ الضعيف ..

الغرض الثامن – النُّدبة : وهي التفجع والحزن، والغم الذي يلحق النادب على المندوب .. والأغلب أن يستعمل في الندبة حرف النداء: (وا)

مثال: وا زيداه ! فصيغة النداء: وا زيداه ، والغرض منه: النُّدبة ؛ لأن المقصود بالنداء هنا صرخة الحزن على من فُقد وليس استدعاء له

الغرض التاسع – التحيُّر و التضجر : ويكون ذلك من شيء ما ، يعاني منه المتكلم ..

مثال : يا ليل طُلت فهل بات السحر // أم استحالت شمسهِ إلى قمر ؟

فصيغة النداء: يا ليل .. و الغرض منه: الضجر ؛ لأن المقصود بالنداء الملل الذي أصاب الشاعر من طول الليل حتى ضجر وليس دعوة لإقبال شيء ما ..

ثالثاً: القصر:—:

أ- تعريف القصر: القصر: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص.

ب- طرق القصر: طرق القصر المشهورة أربعة:

١- النفي والاستثناء وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء، نحو: "لا يفوز إلا المجد"، وكقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا نَكْثٌ كَرِيمٌ﴾.

٢- إنما ويكون المقصور عليه مؤخرا وجوبا، نحو: "إنما الحياة تعب"، وكقوله تعالى: [إنما يخشى الله من عباده العلماء].

٣- العطف بـ "لا" أو "بل" أو "لكن" فإن كان العطف بـ "لا" كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها نحو: "الأرض متحركة لا ثابتة".

وإن كان العطف بـ "بل" أو "لكن" كان المقصور عليه ما بعدهما، نحو: "ما الأرض ثابتة بل متحركة" نحو: "ما الأرض ثابتة لكن متحركة".

٤- تقديم ما حقه التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم، نحو: [إياك نعبد وإياك نستعين]

ج- طرفا القصر: لكل قصر طرفان: مقصور ومقصور عليه

د- أقسام القصر:

أولا: باعتبار طرفيه:

ينقسم القصر باعتبار طرفيه وهما المقصور والمقصور عليه إلى نوعين:

النوع الأول:- ويسمى قصر صفة على موصوف.

ومعناه: أن تجعل الصفة مقصوراً، وتجعل من الموصوف مقصوراً عليه؛

أو أن تحبس الصفة في القصر على موصوفها أي: لحسابه.

مثال: لا يفوز إلا المجتهد.

طريقة القصر: النفي مع الاستثناء. فالمقصور: الفوز: وهو صفة من

الصفات. والمقصور عليه: المجتهد: وهو الموصوف بالفوز. ونوع القصر

باعتبار طرفيه: قصر الصفة على الموصوف. أي أنه: حبس الصفة أو قصرها وهي: (الفوز) لحساب الموصوف وهو (المجتهد).

ومن ذلك: لا رازق إلا الله - إنما الشجاع خالد.

النوع الثاني:- ويسمى قصر موصوف على صفة.

ومعناه: أن تجعل من الموصوف مقصوراً، وتجعل من الصفة مقصوراً عليه، أو أن تحبس الموصوف في القصر على الصفة.

مثال ذلك: إنما الحياة تعب. فطريقة القصر: إنما. والمقصور: الحياة، وهو الموصوف. المقصور عليه: تعب، وهو الصفة، أي: صفة للحياة. نوع القصر باعتبار طرفيه: قصر موصوف على صفة.

والمراد: أن القائل حبس الموصوف وهي: (الحياة) وقصره على الصفة وهي: (تعب) أي: أن الموصوف لا يفارق هذه الصفة فستظل الحياة تعباً إلى ما لا نهاية.

القصر باعتبار الحقيقة والواقع:

يأتي القصر في الكلام باعتبار الحقيقة والواقع على نوعين:

النوع الأول:- القصر الحقيقي: وهو الذي يختص فيه المقصور بالمقصور عليه اختصاصاً حقيقياً وواقعياً أي: لا يخالف الواقع، ولا يمكن أن يختص به أحد غيره بمعنى: ألا يتعدى ذلك الاختصاص غير المقصور عليه. ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من القصر لا يأتي إلا في قصر الصفة على الموصوف، لأنه نادر ما يأتي في قصر الموصوف على الصفة.

مثال ذلك: لا إله إلا الله. فطريقة القصر: النفي مع الاستثناء. المقصور: (إله)، وهو اسم (لا) مبني وهذا الاسم يحمل معنى قائماً فيه وهو الصفة المعنوية صفة الألوهية. المقصور عليه: لفظ الجلالة: (الله)، وهو الموصوف. نوع القصر باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقي؛ لأن صفة الألوهية والوحدانية لا يختص بها إلا الله فهي وقف عليه سبحانه تبارك وتعالى.

النوع الثاني:- القصر الإضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالإضافة، أي: بالنسبة إلى شيء معين، وليس بالنسبة إلى جميع ما عدا ذلك الشيء. والمراد بالإضافة: الإضافة المعنوية، وليست الإضافة النحوية. والمعنى: إذا قلت (إنما حسن شجاع). فإنك تضيف الموصوف (حسن) إضافة معنوية إلى صفة الشجاعة، أي: تخصصه بها بالنسبة إلى شيء معين مطروح ومذكور، وليس بالنسبة إلى ما عدا ذلك الشيء المعين أو المذكور.

توضيح: تخيل أن هناك من يسألك: (أحسن شجاع)، أم جبان، أم متهور. فتجيبه قائلاً: (إنما حسن شجاع). فأنت في هذه الإجابة تكون قد قصرت (حسن) على الشجاعة بالنسبة إلى شيء أو أشياء معينة ومذكورة وهي: شجاع- جبان- متهور. والمعنى: أنك لم تقصر حسناً على الشجاعة دون غيرها من سائر الصفات؛ لأن هذا يخالف الحقيقة والواقع، وإنما قلت ذلك بالنسبة إلى ما سئلت عنه فقط؛ لأنه من الممكن أن يجمع مع الشجاعة صفات أخرى فقد يكون شجاعاً أو كريماً أو متواضعاً....إلى غير ذلك من الصفات.

مثال: لا يدافع عن الأمة إلا رؤوف. فطريقة القصر: النفي مع الاستثناء.
المقصور: (يدافع)، وهذا الفعل يحمل معنى قائماً فيه، وهو صفة المدافعة.
المقصور عليه: (رؤوف) وهو الموصوف. ونوع القصر باعتبار طرفيه:
قصر الصفة على الموصوف. نوع القصر باعتبار الحقيقة والواقع: قصر
الإضافة: لأن القائل أضاف صفة المدافعة إلى الموصوف (رؤوف) بالنسبة
إلى شيء معين أي: بالنسبة إلى أشخاص مذكورين يُتردد في تعيين المدافع
منهم: كخالد وعلي ورؤوف وليس بالنسبة إلى جميع ما عداهم من الناس
أي: لم يقصر المدافعة على رؤوف وحده دون الناس جميعاً؛ لأن ذلك
يخالف الواقع.

مثال آخر: إنما عفاف معلمة. فطريقة القصر: إنما. المقصور: عفاف وهي
الموصوفة. المقصور عليه: معلمة، وهي الصفة؛ لأن هذه الكلمة تحمل
في طبيعتها معنى قائماً فيها وهذا المعنى هو: صفة التعليم. نوع القصر
باعتبار الحقيقة والواقع: قصر بالإضافة: لأن القائل أضاف
الموصوف (عفاف) إلى صفة التعليم بالنسبة إلى أشياء معينة مذكورة يُتردد
في تعيين واحد منها، أي: في تعيين عملها بالنسبة إلى أعمال مطروحة ،
كأن يقال: (أهي معلمة، أم مديرة، أم فنانة)، وليس بالنسبة إلى جميع ما
عدا هذه الأشياء ؛ لأن ذلك يخالف الواقع؛ فمن الممكن تجاوز صفة التعليم
إلى صفات أخرى.

رابعاً: - في أحوال المسند والمسند إليه :

الفصل الأول: - الذَّكْرُ

أولاً: ذكرُ المسندِ إليه :

الأصلُ ذكرُ المسندِ إليه، لتوقُّفِ فهمِ الكلامِ عليه، لكنه قد يجوزُ حذفُه لوجودِ قرينةٍ تدلُّ عليه، وحينئذٍ فالراجعُ ذكرُه لأُمورٍ:

١- زيادةُ التقريرِ والإيضاحِ، كقوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [البقرة/٥] فَإِنَّ ذَكَرَ (أُولَئِكَ) لزيادةِ الإيضاحِ.

٢- التلذُّذُ بذكرِ المحبوبِ، كقوله: (حبيبتي هيَ بدرٌ، حبيبتي هيَ شمسٌ...).

٣ - بسطُ الكلامِ حيثُ الإصغاءُ مطلوبٌ، كقوله تعالى: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) [طه/١٨] .

ثانياً: ذكرُ المسندِ :

١- كونه الأصليُّ ولا داعيَ للعدولِ عنه، قال تعالى: {.. اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة النمل (٥٩)

٢ - إذا ضعفَ الاعتمادُ على القرينةِ ، كقوله: (خير مال المرء ما أنفقه...).

٣ - الردُّ على المخاطبِ، فيكونُ الذكرُ أحسنَ، قال تعالى حكايةً عن منكرِ البعثِ: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [يس/٧٨] ؟!

فردَّه الله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس/٧٩]

٤- زيادةُ التقريرِ والإيضاحِ مثلُ: نبيلٌ هو الذي فعلَ تلكَ الفعلةَ القبيحةَ ، هذا الجوابُ ردٌّ على سؤالِ السائلِ مَنْ فعلَ تلكَ الفعلةَ القبيحةَ ؟

٥- ضعفُ تنبيهِ السامعِ، نحو: (زيدٌ قائمٌ وعمرو قائمٌ).

٦- إفادة التجدد بإتيان الفعل، كقوله: (يَحْمَدُ اللهَ كُلُّ عَبْدٍ فَقِيهِه...).

٧- إفادة الثبوت والدوام بإتيان الاسم، قال تعالى: {عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} سورة الرعد (٩)

الفصل الثاني:- الحذف:

أولاً: حذف (المسند إليه) :

وهذا هو خلاف الأصل كما عرفت، لكن إذا كانت هناك قرينة، وكان في حذفه غرض رجح حذفه، وأهم الأغراض:

١- الاحتراز عن العبث - بناءً على الظاهر - كقوله: (زيد أتى ثم ذهب) ولم يقل (زيد ذهب).

٢ - ضيق الصدر عن إطالة الكلام ، بسبب ما يُعرض للمتكلم من ضجر أو حزن ، كقول الشاعر :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ // سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

ولم يقل: (أنا عليل) تضجراً من علته.

٣- اتباع الاستعمال الوارد عن العرب ، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلُ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} سورة سبأ (٣١) ، أي: لولا أنتم موجودون. ، وكقولهم: (رمية من غير رام) أي هذه رمية.

ونحو: نعم البطل خالد: أي هو خالد.

٤- ظهوره بدلالة القرائن عليه: نحو قوله تعالى : (فصكت وجهها وقالت عجز عقيم) [الذاريات: ٢٩]. أي أنا عجز.

٥- إخفاء الأمر عن غير المخاطب: نحو أقبل، تريد علياً مثلاً.

٦- تيسر الإنكار إن مسّت إليه الحاجة: نحو «لنيمّ خسيس» بعد ذكر شخص، لا تذكر اسمه ليتأتى لك عند الحاجة أن تقول ما أردته ولا قصدته.

٧- الحذر من فوات فرصة سانحة: كقول منبّه الصياد: «غزال»، أي: هذا غزال.

٨- اختبار تنبّه السامع له عند القرينة، أو مقدار تنبّهه: نحو نوره مستفاد من نور الشمس، أو هو واسطة عقد الكواكب أي «القمر» في كل من المثاليين.

٩- المحافظة على السجع نحو: من طابت سريرته، حمدت سيرته

١٠- المحافظة على القافية كقول لبيد :

وما المال والأهلون إلا ودائع // ولا بد يوماً أن تردّ الودائع

١١- المحافظة على الوزن كقول الشاعر :

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا علي ولا ليا

١٢- كون المسند إليه معيناً معلوماً حقيقةً نحو قوله تعالى : (عالم الغيب والشهادة)[الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤] أي الله، أو معلوماً ادّعاءً ، نحو: وهاب الألوفاً أي فلان.

١٣- إشعارٌ أنَّ في تركه تطهيراً له عن لسانك، أو تطهيراً للسانك عنه،
مثال الأول: (مقررٌ للشرائع موضحٌ للدلائل) تريدُ صاحبَ الشريعة ، ومثالُ
الثاني قوله تعالى عن الكفار: {صَمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} (١٨)
سورة البقرة .

١٤- تكثرُ الفائدة: نحو قوله تعالى : {.. فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ} (١٨) سورة يوسف ، أي فأمرِي صَبْرٌ جميلٌ.

١٥- تَعَيَّنُهُ بالعهدية: نحو قوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى
الْجُودِيِّ)(٩٧)[هود: ٤٤] أي السفينة ، ونحو قوله تعالى : {فَقَالَ إِنِّي
أُحِبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} (٣٢) سورة ص،
أي الشمس.

وغير ذلك ، ومرجعه إلى الذوق الأدبي: فهو الذي يُوحِي إليك بما في
القول من بلاغة وحسن بيان.

ثانياً: حذف المسند :

١ - الاحتراز عن العبث، لقريئة مذكرة، قال تعالى: (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
([التوبة/٣] أي رسوله بريء أيضاً.

٢ - ضيقُ المقام عن الإطالة، كقول الشاعر ِ :

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما ... عندك راضٍ، والرأيُ مختلفُ

أي: نحنُ بما عندنا راضون ، وأنتَ بما عندك راضٍ .

٤ - اتباع الاستعمال الوارد عن العرب ، قال تعالى: {.. يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} (٣١) سورة سبأ ، أي: لولا أنتم موجودون.

٣- تقديم المسند إليه ◌ :

مرتبة المسند إليه التقديم ، وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن ، لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً . فاستحق التقديم وضعاً ، ولتقديمه دواعٍ شتى منها :

١ - تعجيل المسرة ◌ ، نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

٢- تعجيل المساءة ، نحو: القصاص حكم به القاضي.

٣ - التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعراً بغرابة كقول أبي العلاء المعري :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ //////////////// حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

٤- التلذذ بالمسند إليه ، نحو: ليلي وصلت، وسلمى هجرت.

٥ - التبرك بالتقديم ، : نحو: اسمُ الله اهتديت به. ونحو محمد النبي صلى الله عليه وسلم رسول حق

٦ - النصُّ على عموم السلب (النفي) ، أو النصُّ على سلب العموم.

فعموم السلب يكون بتقديم أداة العموم ، ككُلٍّ وجميعٍ على أداة النفي، نحو: كلُّ ظالمٍ لا يفلحُ، المعنى: لا يفلحُ أحدٌ من الظَّالِمَةِ. ونحو: كلُّ ذلك لم يكن: أي لم يقع هذا ولا ذاك. ونحو: كلُّ تلميذٍ لم يقصر في واجبه، ويسمى شمول النَّفي.

واعلم أنَّ عمومَ السَّلبِ يكونُ النفيُّ فيه لكلِّ فردٍ، وتوضيحُ ذلكَ أنك إذا بدأتَ بلفظةٍ كلٍّ، كنتَ قد سلَّطتَ الكليةَ على النفي، وأعملتَها فيه ، وذلك يقضي ألا يشدَّ عنه شيءٌ.

وسلبُ العمومِ يكونُ بتقديمِ أداةِ النفي على أداةِ العمومِ، نحو: لم يكنْ كلُّ ذلكِ، أي لم يقعِ المجموعُ، فيحتملُ ثبوتَ البعضِ، ويحتملُ نفيَ كلِّ فردٍ، لأنَّ النفيَ يوجَّهُ إلى الشُّمولِ خاصةً، دونَ أصلِ الفعلِ، ويسمَّى نفيَ الشُّمولِ.

واعلم أنَّ سلبَ العمومِ يكونُ النفيُّ فيه للمجموعِ غالباً، كقولِ المتنبي :
ما كلُّ رأيٍ الفتى يدَّعو إلى رشْدٍ .////////// إذا بدا لك رأيٌ مشكِلٌ فقِفِ
وقد جاءَ لعمومِ النفي قليلاً نحو قوله تعالى: (إنَّ الله لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ) [لقمان: ١٨]، ودليلُ ذلك: الذوقُ والاستعمالُ.

٧ - إفادةُ التخصيصِ قطعاً إذا كانَ المسندُ إليه مسبوقاً بنفي، والمسندُ فعلاً، نحو: ما أنا قلتُ هذا، أي: لم أقلُّه، وهو مقولٌ لغيري.

(ولذا لا يصحُّ أن يقال: ما أنا قلتُ هذا ولا غيري، لأنَّ مفهومَ ما أنا قلتُ، أنَّه مقولٌ للغيرِ، ومنطوقٌ، ولا غيري كونه غيرَ مقولٍ للغيرِ، فيحصلُ التناقضُ سلباً وإيجاباً)

وإذا لم يسبقِ المسندُ إليه نفيٌّ كانَ تقديمُهُ محتملاً لتخصيصِ الحكمِ به أو تقويته ، إذا كانَ المسندُ فعلاً ، نحو : أنتَ لا تبخلُ، وهو يهبُ الألوفاً، فإنَّ فيه الإسنادَ مرتينِ، إسنادُ الفعلِ إلى ضميرِ المخاطبِ في المثالِ الأوَّلِ، وإسنادُ الجملةِ إلى ضميرِ الغائبِ في المثالِ الثاني .

٨ - مُراعاة الترتيب الوجودي، نحو: (لا تأخذُه سنة ولا نوم) [البقرة: ٢٥٥].

٩- كونُ المقَدَم محلَّ الإنكار، كقول الشاعر :

أخوفٌ ونومٌ، إنَّ ذا لعجيبٌ ... ثكلتك من قلبٍ فأنتَ كذوبٌ

١٠- التدرُّجُ في الحسنِ أو القبحِ أو ما شاكلهما، كقوله: (أصحيحٌ ومفصحٌ وبليغٌ)؟ فالصحَّةُ مقدَّمةٌ على الفصاحةِ، وهي َعلى البلاغةِ. وكقول الشاعر :

نظرةٌ ، فابتسامَةٌ ، فسلامٌ /////////////// فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءٌ

تأخيرُ المسندِ إليه:

يؤخرُ المسندُ إليه إن اقتضى المقامُ تقديمَ المسندِ ، ولا نلتبسُ دواعي التقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمالُ يبيحُ كليهما.

خامساً: الفصل والوصل:

اصطلاحاً: الوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف، ولكل من الفصل والوصل مواضع خاصة.

بلاغةُ الوصل :

وبلاغةُ الوصل لا تتحقَّق إلا بالواو العاطفة فقط، دون بقية حروف العطف، لأنَّ الواوَ هي الأداة التي تخفى الحاجةُ إليها، ويحتاجُ العطف بها إلى لُطفٍ في الفهم، ودقةٍ في الإدراك، إذ لا تفيدُ إلا مجردَ الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: مضى وقتُ الكسل، وجاءَ زمنُ العمل، وقمَّ واسعٌ في الخير.

بخلاف العطف بغير الواو، فيُفيدُ مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، وكالترتيب مع التراخي في ثمَّ، وهكذا باقي أدوات العطف التي إذا عطف بواحدٍ منها ظهر الفائدة، ولا يقعُ اشتباهٌ في استعماله.

وشرطُ العطف بالواو أن يكونَ بين الجملتين جامعٌ حقيقيٌّ بين طرفي الإسناد، أو جامعٌ ذهنيٌّ، فالجامعُ الحقيقيُّ كالموافقة في نحو: يقرأ ويكتب، والجامعُ الذهنيُّ كالمضادة في نحو: يضحك ويبكي، وإنما كانت المضادة في حكم الموافقة، لأنَّ الذهن يتصورُ أحدَ الضدين عند تصوُّر الآخر، فالعلمُ يخطرُ على البالِ عند ذكرِ الجهلِ، كما تخطرُ الكتابةُ عند ذكرِ القراءة. والجامعُ يُجبُ أن يكونَ باعتبارِ المسندِ إليه والمسندِ جميعاً.

أولاً: مواضع الفصل:

يجب الفصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

١- أن يكون بينهما اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى أو بياناً لها أو بدلاً منها، ويقال حينئذٍ: إن بين الجملتين "كمال الاتصال" كما في الأمثلة التالية:

- قوله تعالى: "فمهل الكافرين أمهلهم رويداً".

- وقوله تعالى: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى".

- وقوله تعالى: "وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَّاكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ {١٣٢} أَمَّاكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ {١٣٣}"

٢- أن يكون بينهما تباين تام، وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ: إن بين الجملتين "كمال الانقطاع"، نحو:

- يا صاحب الدنيا المحب لها أنت الذي لا ينتهي تعبته

- وإنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

٣- أن تكون الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، ويقال حينئذ: إن بين الجملتين "شبه كمال الاتصال" نحو:

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا //////////////// إن السماء ترجى
حين تحتجب

ثانيا: مواضع الوصل:

يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

١- إذا قصد اشتراكهما في الحكم الإعرابي، نحو: وحب العيش أعبد كل
حر وعلم ساغبا أكل المرار

٢- إذا اتفقا خبرا أو إنشاء وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك
سبب يقتضي الفصل بينهما

كقوله تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم"، وقوله تعالى:
"إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون"، وقوله: "فادع واستقم
كما أمرت" ونحو: "اذهب إلى فلان وتقول له كذا".

٣- إذا اختلفتا خبرا أو إنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود، نحو: "لا
وبارك الله فيك".

سادساً: التقديم والتأخير:—

يراد بالتقديم والتأخير أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم . والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان الترتيب لازماً أو غير لازم ، فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكمً صناعيً نحويً ، أما في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة) فيكاد يكون شيئاً غير محدد ، ولكن توجد بعض الأسباب العامة التي قد تفسر الترتيب الأصلي – بنوعيه – بين عنصرين ، وهي مختلفة في اعتباراتها ، فمنها ما اعتباره معنويً ، ومنها ما اعتباره لفظيً ، أو منطقيً ، أو صناعيً ، ومن أهم هذه الأسباب :

- ١- أن تكون العلاقة بين العنصرين علاقة المحكوم عليه بالحكم ، فمقتضى الأصل أن يتقدم المحكوم عليه ويتأخر الحكم ، كتقدم المبتدأ على الخبر .
- ٢- أن تكون العلاقة بينهما علاقة العامل بالمعمول ، فمقتضى الأصل أن يتقدم العامل ويتأخر المعمول ، كتقدم الفعل على المفعول .
- ٣- أن تكون العلاقة بينهما علاقة المقدمة بالنتيجة ، فمقتضى الأصل أن تتقدم المقدمة وتتأخر النتيجة ، كتقدم فعل الشرط على جواب الشرط .
- ٤- أن تكون العلاقة بينهما علاقة الكلّ بالجزء المقتطع منه ، فمقتضى الأصل أن يتقدم الكلّ ويتأخر الجزء ، كتقدم المستثنى منه على المستثنى .

٥- أن يكون تقدّم عنصرٍ ضروريًّا لحفظ تقسيمٍ معلوم من اللغة بالضرورة ، كتقدّم الفعل على الفاعل ؛ لما عُلم من وجود جملة فعلية تقف جنبًا إلى جنب مع الجملة الاسمية مكوّنة معها أساسًا ثنائيًّا لورود الجمل .

وللتقديم والتأخير علّة هي الرتبة ، فالرتبة مبدأ نحويّ لولاه لم يكن ثمّ تقديم ولا تأخير ، فما الرتبة ؟ وما أنواعها ؟

الرتبة قرينة نحويّة من قرائن المعنى ، يمكن تعريفها بأنّها جزءٌ من النظام النحويّ ” يحدّد موقع الكلمة من بناء الجملة ” ويفرض لكلمتين بينهما ارتباط أن تأتي إحداهما أوّلاً والأخرى ثانيًا ، ويمتنع العكس إذا كانت الرتبة محفوظة ، أمّا إذا كانت الرتبة غير محفوظة فيجوز أن تتقدّم إحدى الكلمتين في تعبيرٍ وتتأخّر في تعبيرٍ آخر من غير اتّصاف أحد التعبيرين بالخطأ النحويّ .

وحاصل القول في ظاهرة التقديم والتأخير (الجائز) أنّها تفتقر إلى أمور :

الأوّل : تحديد الأصل في ترتيب عناصر التركيب .

الثاني : تحديد العدول عن الأصل في هذا الترتيب .

الآخر : البحث عن علّة هذا العدول وتأثيره في المعنى والدلالة .

أغراض التقديم :

للتقديم أغراض متعدّدة متنوّعة ، يتعيّن أحدها بحسب العنصر المقدّم ، وبحسب المقامات والأحوال ، وممّا ذكره من أغراض تقديم الخبر المفرد على المبتدأ :

١- التخصيص ، كأن يقول أحد : زيد إمّا قائم أو قاعد ، ” فيردّده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما ” ، فالردّ عليه يكون بتقديم الخبر لتخصيص المبتدأ به ، فيقال : قائم هو

٢- الافتخار ، نحو : ” تميمي أنا ” ، فتقديم الخبر هنا ” يفهم منه معنى لا يفهم بتأخيره ” ، وهو الافتخار – أو غيره كالتخصيص في مقام آخر – فيجب التقديم مراعاةً للمعنى والغرض .

٣- التفاؤل أو التشاؤم ، مثل : ناجح زيد ، ومقتول إبراهيم .

ومن أغراض تقديم الخبر الظرف والجارّ والمجرور :

١- الاختصاص ، نحو قول الله تعالى : (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ) ، فالغرض من التقديم هنا بيان ” اختصاص الملك والحمد بالله عزّ وجلّ ” لا بغيره . ويجب التنبيه هنا إلى أنّ التقديم للاختصاص ليس مقصوراً على كون المقدم ظرفاً والمؤخر مبتدأ ؛ فقد ” كاد أهل البيان يطبقون على أنّ تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً ، ولهذا قيل في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : معناه : نخصّك بالعبادة والاستعانة ” .

٢- التنبيه من أوّل الأمر على أنّ الظرف خبر لا نعت ، كما في قول الشاعر : له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلّ من الدهر فأثّه ” لو آخر فقال : همم له ، لتوهم أنّه صفة ” ، فقدّم الخبر للتنبيه وإزالة الوهم .

ولتقديم المبتدأ على الفعل أغراض كثيرة ، منها :

١- التخصيص بالخبر الفعليّ ، نحو : أنا سعيّت في حاجتك ؛ لإفادة الانفراد بالسعي وعدم الشركة فيه .

٢- تحقيق الأمر وإزالة الشكّ ، نحو : هو يعطي الجزيل ، فليس الغرض هنا ادّعاء اختصاصه بذلك دون غيره ، وإنّما الغرض تأكيد المعنى في نفس السامع .

٣- تعجيل مسرّة السامع أو مساءته ، نحو : خليلك عاد من السفر ، ونحو : الكئيب يزورك اليوم . وغير ذلك من الأغراض .

قيمة التقديم والتأخير :

ظاهرة التقديم والتأخير - شأن الظواهر السياقية الأخرى كالحذف والزيادة وغيرها - مظهر من مظاهر شجاعة العربية ؛ ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس ، اعتماداً على قرائن أخرى ، ووصولاً بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال .

والقيمة البيانية للتقديم والتأخير مرتبطة بالجائز منه ، ومرهونة بحسن استعماله على وفق مقتضى الحال ، والوعي باستعماله في موضعه ، وإلاّ كان عبثاً لا قيمة له ولا فائدة بل ربّما يؤدّي إلى إفساد المعنى .

والأغراض التي تتفقّ عنها ظاهرة التقديم تبين ثراءها وكثرة فوائدها ، وكونها منبعاً ثراً لرقّي الأساليب وارتفاعها في البيان . فلا عجب حين نرى احتفاء الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذه الظاهرة في قوله عن بابها : " هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروّك مسمعه ، ويلطّف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راق لك ولطف عندك أن قدّم فيه شيءً وحول اللفظ عن مكان إلى مكان " .

سابعاً: التعريف والتنكير:

أولاً: في التعريف: تعريف المسند إليه: حقه أن يكون معرفة، لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكون الحكم مفيداً. وتعريفه إمّا: بالإضمار، وإمّا بالعلمية، وإمّا بالإشارة، وإمّا بالموصلية، وإمّا بآل، وإمّا بالإضافة، وإمّا بالنداء.

أمّا تعريف المسند إليه بالإضمار فهو لأغراض أهمّها :

١- كون الحديث في مقام التكلم، كقول الشاعر :

أَنَا ابْنُ دَارَةٍ، مَعْرُوفًا بِهَا نَسَبِي.... وَهَلْ بِدَارَةٍ، يَا لِلنَّاسِ مِنْ عَارٍ

٢- أو في مقام الخطاب، كقوله: (وَأَنْتَ الَّذِي فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَطْمَعُ...).

٣- أو في مقام الغيبة، كقوله تعالى: {.. هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ..} (٢٣) سورة الحشر.

ولا بدّ من تقدّم ذكر مرجع الضمير وذلك:

١- إمّا لفظاً، كقوله تعالى: (فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ [الأعراف/٨٧])

٢- وإمّا معنى، كقوله تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [المائدة/٨]. أي العدل المفهوم من قوله: (اعدلوا).

٣- وإمّا حكماً، كقوله تعالى: (وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ [النساء/١١]) أي أبوي الميّت، المفهوم من السياق.

ثُمَّ إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْخُطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمَعْيِنٍ مُشَاهِدٍ، وَقَدْ يَأْتِي لغيرِ الْمَعْيِنِ إِذَا قَصِدُ التَّعْمِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } (١٢) سورة السجدة.

كما أنه قد يأتي لغيرِ المُشَاهِدِ، إِذَا نُزِّلَ مِنْزِلَتُهُ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {..فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (٨٧) سورة الأنبياء، لَكُونِ اللهُ تَعَالَى مَعَ كُلِّ أَحَدٍ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَهَيْمَنَتِهِ.

تعريف المسند إليه بالعلمية :

يُؤْتَى بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ عِلْمًا: لِإِحْضَارِ مَعْنَاهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ، ابْتِدَاءً بِاسْمِهِ الْخَاصِّ لِيَمْتَازَ عَمَّا عِدَاهُ، قَالَ تَعَالَى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [البقرة/٢٥٧]. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) [البقرة: ١٢٧].

وقد يعرضُ له إضافةً إلى امتيازِهِ وَجْهٌ مَرَجَّحٌ آخَرُ، وَأَهَمُّ الْوُجُوهِ:

١ - المَدْحُ، فِيمَا إِذَا كَانَ الْاسْمُ مَشْعَرًا بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) [الفتح/٢٩]. وَنَحْوُ: جَاءَ نَصْرٌ .

٢ - الذَّمُّ وَالْإِهَانَةُ، قَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) [إبراهيم/٢٢]. وَنَحْوُ: ذَهَبَ تَائِبٌ شَرًّا.

٣ - التَّبَرُّكُ بِذِكْرِهِ، كَقَوْلِهِ: (فَلْيَحْكُمْ الْقُرْآنُ فِي أُمْنَانَا). وَنَحْوُ: اللَّهُ أَكْرَمَنِي، فِي جَوَابِ: هَلْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ؟

٤ - التَّلَذُّدُ بِاسْمِهِ، كَقَوْلِ مَجْنُونٍ لَيْلَى :

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا ... لَيْلَايَ مِنْكَ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

٥- التَّفَاوُلُ، نحو: جاءَ سُرُورٌ.

٦- التَّشَاوُمُ، نحو: حربٌ في البلدِ.

٧- الكِنَايَةُ عن معنى يَصْلُحُ الْعِلْمُ لَذَلِكَ الْمَعْنَى، بحسبِ معناه الأصليِّ قبل العلميّة، نحو: أبو لهبٍ فعلٌ كذا، كِنَايَةٌ عن كونه جَهَنَّمِيًّا. لأنَّ اللَّهَبَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ لَهَبُ جَهَنَّمَ، فيصحُّ أن يُلاحظَ فيه ذلك

٨- التَّسْجِيلُ عَلَى السَّامِعِ لئلا يَنْكَرَ، كقوله: (أفهلُ علمتَ بأنَّ أحمدَ قد أتى)؟

٩ - طَلَبُ الْإِقْرَارِ بِصَرِيحِ الْاسْمِ، كقوله: (قل: هل دريتَ بأنَّ يوسفَ حاكمٌ)؟

وأما تعريفُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ فهو لأمور :

١ - أن لا يكونَ طريقٌ لإحضاره إلا باسمِ الْإِشَارَةِ، لجهلِ السَّامِعِ بِاسْمِهِ وبصفاته، كقوله: (جاءني هذا) مشيراً إلى زيدٍ، حيثُ لا يمكنكَ إحضاره باسمه أو صفته في ذهنِ المخاطبِ.

٢ - بيانُ حاله في القربِ، قالَ تعالى: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [يس/٦٣].

٣- بيانُ حاله في البعدِ، قالَ تعالى: {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمٌ الْخُرُوجِ} (٤٢) سورة ق.

وكثيراً ما يُشارُ إلى القريبِ غير المُشَاهِدِ بِإِشَارَةِ الْبَعِيدِ، تنزيلاً لِلْبُعْدِ عَنِ الْعِيَانِ، منزلةً الْبُعْدِ عَنِ الْمَكَانِ، نحو: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: ٨٢].

٤ - تعظيمه بالقرب، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء/٩].

٥- تحقيره بالقرب، قال تعالى: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} (٩٩) سورة الأنبياء.

٦ - تعظيمه بالبُعد، كقوله: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة/٢].

٧- تحقيره بالبُعد، قال تعالى: (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ)(٢٤).

٨ - تمييز المشار إليه أحسن تمييز، كقول الفرزدق :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

١٠- التعريض بغباوة المخاطب إيماءاً إلى أنه لا يعرف إلا المحسوس، كقول الفرزدق يهجو جريراً:

أولئك آبائي، فجنني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

١١- إظهار الاستغراب كقول الشاعر :

كم عاقلٍ أعيت مذاهبه وجاهلٍ جاهلٌ تلقاه مرزوقا

وأما تعريف المسند إليه بالموصول فهو لأمر :

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول إذا تعين طريقاً لإحضار معناه. كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه.

أما إذا لم يتعين طريقاً لذلك؛ فيكون لأغراض أخرى.

١ - التشويق لكون مضمون الصلة أمراً غريباً، كقول الشاعر :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

٣ - تعظيم شأن المسند إليه، كقول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

٤ - التهويل، تعظيماً أو تحقيراً، قال تعالى: (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (طه/٧٨)، ونحو: مَنْ لَمْ يَذَرِ حَقِيقَةَ الْحَالِ قَالَ مَا قَالَ.

٥ - استهجان التصريح بالاسم، قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ (يوسف/٢٣) ، ونحو: الذي رباني أبي .

٦ - التوبيخ، نحو: الذي أحسن إليك قد أسأت إليه، وكقول الشاعر:

أفيقوا أمن كان يحسن دائماً إليكم؟ فهل هذا جزاء المفضل؟

٧- إخفاء الأمر عن غير المخاطب، كقول الشاعر:

وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتي كما أهوى

٨- التنبيه على خطأ المخاطب، نحو قوله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم) [الأعراف: ١٩٤]، وكقول الشاعر :

إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا

٩- التنبيه على خطأ غير المخاطب، كقول الشاعر :

إن التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها

١٠ - الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب، كقوله تعالى: (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) [الحج: ٥٠].

١١ - الاستغراق ، نحو: الذين يأتونك أكرمهم.

١٢ - الإبهام، نحو: لكل نفس ما قدمت.

واعلم أن التعريف بالموصولية مبحث دقيق المسلك، غريب النزعة يوقفك على دقائق من البلاغة تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك، وتثلج صدرك إذا تأملت بها بصادق رأيك، فأسرار ولطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها، واعتبر في كل مقام ما تراه مناسباً.

تعريف المسند إليه معرفاً باللام :

يؤتى بالمسند إليه معرفاً بأل العهديّة أو أل الجنسية لأغراض آتية :

أما (أل) العهديّة، فإنها تدخل على المسند إليه للإشارة إلى معهود لدى المخاطب، والعهد على ثلاثة أقسام:

١ - العهد الذكري، وهو ما تقدم فيه ذكر المسند إليه صريحاً، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا} (١٥) سورة المزمل ، فإنّ (الرسول) تقدّم ذكره صريحاً، لكنّ المثال ليس للمسند إليه، إذ الرسول مفعول في المقام، وإنما المثال المطابق قول الشاعر:

أتاني شخصاً لابساً ثوبَ سودٍ وما الشخص إلا من كرام الأقارب

٢ - العهد الذهني، وهو ما تقدم فيه ذكر المسند إليه تلويحاً، قال تعالى: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (٣٦) سورة آل عمران ، فإنه لم يسبق ذكر (الذكر) صريحاً، وإنما أشير إليه في قوله تعالى : {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا

فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٣٥) سورة آل عمران، فَإِنَّ (ما) يرادُ منه الذَّكَرُ، لَأَنَّهُ الْقَابِلُ لخدمَةِ الْمَسْجِدِ. وقد كانوا لا يُحررون لخدمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا الذَّكَورَ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِـ «ما» وَيُسَمَّى كُنَائِيًّا.

٣ - الْعَهْدُ الْحَضُورِيُّ، وَهُوَ مَا كَانَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ حَاضِرًا بِذَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٣) سورة المائدة ، فَإِنَّ (اليومَ) وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ - الَّذِي أَكَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَمِثْلُهُ مَا بِمَنْزِلَةِ الْحَاضِرِ، نَحْوُ: هَلْ اِنْعَقَدَ الْمَجْلِسُ؟ فِيمَا كَانَ الْمَجْلِسُ فِي شَرَفِ الْاِنْعِقَادِ.

أَلِ الْجِنْسِيَّةِ: وَتُسَمَّى لَامَ الْحَقِيقَةِ: تَدْخُلُ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ لِأَغْرَاضٍ أَرْبَعَةٍ:
١ - لِلإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ عُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا، نَحْوُ: الْإِنْسَانُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ.

وَتُسَمَّى لَامَ الْجِنْسِ، لِأَنَّ الإِشَارَةَ فِيهِ إِلَى نَفْسِ الْجِنْسِ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْأَفْرَادِ نَحْوُ: الذَّهَبُ أَثْمَنُ مِنَ الْفِضَّةِ.

٢ - أَوْ لِلإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِيقَةِ فِي ضَمَنِ فَرْدٍ مُبْهَمٍ، إِذَا قَامَتِ الْقَرِينَةُ عَلَى ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } (١٣) سورة يوسف. وَمَدْخُولُهَا فِي الْمَعْنَى كَالنَّكَرَةِ فَيُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا. وَتُسَمَّى لَامَ الْعَهْدِ الدَّهْنِيِّ.

٣ - أَوْ لِلإِشَارَةِ إِلَى كُلِّ الْأَفْرَادِ الَّتِي يَتَنَاوَلُهَا اللَّفْظُ بِحَسَبِ اللَّغَةِ، وَلِهَا حَالَتَانِ:

أ - بمعونة قرينةٍ حاليةٍ نحو قوله تعالى : (عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤]. أي كلُّ غائبٍ وشاهدٍ.

ب - أو بمعونة قرينةٍ لفظيةٍ نحو قوله تعالى : (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) [العصر: ٢]. أي كلُّ إنسانٍ بدليلِ الاستثناءِ بعده. ويسمَّى استغراقاً حقيقياً.

٤ - أو للإشارةِ إلى كلِّ الأفرادِ مقيداً نحو: جمعَ الأميرِ التُّجَّارِ، وألقى عليهم نصائحَه، أي جمعَ الأميرِ تَجَّارَ مملكتهِ لا تَجَّارَ العالَمِ أجمعَ. ويسمَّى استغراقاً عُرفياً.

وأما تعريفُ المسندِ إليهِ بالإضافةِ فهو لأُمور :

١ - أنه أخصرُ طريقٍ لإحضارهِ في ذهنِ المخاطَبِ، كقوله: (زرتُ والدَكَ)؟

٢ - تعدُّرُ التعدادِ، كقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن/٢٦، ٢٧].

٣ - تعسُّرُ التعدادِ، كقوله: (زارني أصدقاؤني) لمن أصدقاؤه كثيرون.

٤ - الخروجُ عن تبعَةٍ تقديمِ بعضٍ على بعضٍ، كقوله: (جاءَ أمراءُ الجيشِ).

٥ - تعظيمُ المضافِ، كقوله: (خادمُ السلطانِ يبغي مطلباً) تعظيماً للخادمِ بأنه خادمُ السلطانِ.

٦ - تعظيمُ المضافِ إليهِ، كقول الشاعر:

إذا ما رأيتَ الكسائيَّ فقلْ صنيعُك أضحَى أميرَ البلادِ

تعظيماً للكسائيِّ بأنَّ صنيعَه صارَ أميراً.

٧ - تعظيم غيرهما نحو: (أخو السلطان صهري) تعظيماً للمتكلّم بأنّ أخ السلطان صهره..

٨ - تحقير المضاف، نحو: (ابن الجبان حاضر).

٩ - تحقير المضاف إليه، نحو: (عبد زيد خائن).

١٠ - تحقير غيرهما، نحو: (أخو اللصّ عندك).

١١ - الاختصار لضيق المقام، كقوله: (هواي من الركب اليمانيين مصعد) فلفظ (هواي) أخصر من (الذي أهواه).

١٢ - الاستهزاء، كقوله: (علمك النافع لا علم جميع العلماء).

تعريف المسند :

١ - إفادة السامع حكماً معلوماً على أمرٍ معلوم، وذلك يفيد النسبة المجهولة، فمن عرف زيدا بشخصه، وعرف أنّ له صديقاً، ولكن لم يعرف أنّ زيدا هو صديقه، قيل له: (زيد صديقك) وهذا يفيد النسبة، وإن لم يفد الخبر - لكونه معلوماً -.

٢ - قصر المسند على المسند إليه حقيقة، كقوله: (عمر الفاروق أمير المؤمنين صريحة...).

٣ - قصر المسند على المسند إليه ادّعاءً، كقوله: (وأخو كليب عالم الأنساب...).

ثانياً: في التنكير:

ينبغي أن يكون المسند إليه معرفة، ولكن قد يؤتى به نكرة لأغراض :

١ - إذا لم يعلم المتكلم بجهة من جهات التعريف، حقيقة أو ادعاءً، كقوله: (جاء رجل يسأل عنك).

٢ - إخفاء الأمر كقوله: (اتَّهَمَكَ رَجُلٌ) يخفي اسمه حتى لا يكون شغباً.

٣ - قصد الإفراد، قال تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى [يس/٢٠]) أي: رجل واحد

٤ - قصد النوعية، نحو قول الشاعر :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يَسْتَطْبُّ بِهِ ... إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

٥- التعظيم، قال تعالى: (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) [البقرة/٧] أي: غشاوة عظيمة.

٦ - التحقير، قال تعالى: (وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء/٤٦]

٧ - التكثير، قال تعالى: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ) [الحج/٤٢]

٨ - التقليل، قال تعالى: (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ [التوبة/٧٢]) أي: رضوان قليل أكبر من نعيم الجنة وأما تنكير المسند :

فلأن الأصل في المسند أن يكون نكرة، لإفادة العلم بشيء مجهول، لكن قد يرجحها أمور:

١ - إرادة عدم العهد والحصر، كقوله: (مجاهد عبْدٌ، وسلمى أمةٌ...).

٢ -إرادة التفخيم، قال تعالى: (هدى للمتقين) البقرة: ٢. بناءً على كونه خبراً.

٣ - إرادة التحقير، كقوله: (وما هدة شيئاً، ولكن رجالها...).

ثامناً: الإيجاز والإطناب والمساواة:

كلُّ ما يَجُولُ في الصَّدْرِ مِنَ المعاني، وَيَخْطُرُ بِبَالِكَ مَعْنَى منها ، لا يَعدُو التعبيرُ عنه طريقاً من طرقِ ثلاثٍ:

أولاً - إذا جاء التعبيرُ على قدرِ المعنى، بحيثُ يكونُ اللفظُ مساوياً لأصلِ ذلك المعنى - فهذا هو «المساواة»

وهي الأصلُ الذي يكونُ أكثرَ الكلامِ على صورته، والدستورُ الذي يقاسُ عليه.

ثانياً - إذا زادَ التعبيرُ على قدرِ المعنى لفائدةٍ، فذاك هو «الإطنابُ»، فإن لم تكن الزيادةُ لفائدةٍ فهي حشوٌّ: أو تطويلٌ.

ثالثاً- إذا نقصَ التعبيرُ على قدرِ المعنى الكثير، فذلك هو «الإيجازُ» .

فكلُّ ما يَخْطُرُ بِبَالِ المتكلمِ من المعاني فلهُ في التعبيرِ عنه بإحدى هذه الطرقِ الثلاث، فتارةً (يوجزُ) وتارةً (يسهبُ)، وتارةً يأتي بالعبرة (بينَ بين) ولا يُعدُّ الكلامُ في صورةٍ من هذه الصورِ بليغاً إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حالِ المخاطبِ، ويدعو إليه مواطنُ الخطابِ، فإذا كان المقامُ للأطنابِ مثلاً، وعدلت عنه إلى: الإيجازِ، أو المساواةِ لم يكن كلامك بليغاً. وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

أولاً:- الإيجاز:

تعريفه:

هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظٍ أقلَّ منها، وافيةً بالعرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} سورة الأعراف (١٩٩) فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها .

وكقوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) [الأعراف/٥٤] وكقوله عليه الصلاة والسلام: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

فإذا لم تف العبارة بالعرض سمي إخلالاً وحذفاً رديئاً، كقول الإشكري :

والعيشُ خيرٌ في ظلا . //////////////// لِ النوكِ ممنُ عاشَ كذا

مراده: أَنَّ العيشَ الناعمَ الرَّغْدَ في حال الحمق والجهل، خيرٌ من العيشِ الشاقِّ في حال العقل، لكنَّ كلامه لا يعدُّ صحيحاً مقبولاً.

ومثالُ التطويل، قول ابن مالك في ألفيته :

كَذَا إِذَا عَادَ عَلَيْهِ مُضْمَرٌ مِمَّا بِهِ عَنْهُ مُبِينًا يُخْبَرُ

أي يجبُ تقديم الخبرِ إذا عادَ عليه ضميرٌ من المبتدأ،

وينقسمُ الإيجازُ إلى قسمين: إيجازُ قصرٍ وإيجازُ حذفٍ :

(فإيجازُ القصر) «و يسمَّى إيجازَ البلاغة» : يكونُ بتضمينِ المعاني الكثيرةِ في ألفاظٍ قليلةٍ من غيرِ حذفٍ، كقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة/١٧٩] ، فإنَّ معناه كثيرٌ، ولفظه يسيرٌ، إذ

المراد بأنَّ الإنسانَ إذا علم أنه متى قُتِلَ قُتِلَ امتنعَ عن القتلِ، وفي ذلك حياته وحياةُ غيره، لأنَّ القتلَ أنفَى للقتلِ وبذلك تطولُ الأعمارُ، وتكثرُ الذريةُ، ويقبلُ كلُّ واحدٍ على ما يعودُ عليه بالنفعِ، ويتمُّ النظامُ، ويكثرُ العمرانُ، فالقصاصُ هو سببُ ابتعادِ الناسِ عن القتلِ، فهو الحافظُ للحياةِ.

و كقوله تعالى: {.. وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} (٧٢) سورة الفرقان، فإنَّ مقتضى الكرامةِ في كلِّ مقامٍ شيءٌ، ففي مقامِ الإعراض: الإعراضُ، وفي مقامِ النهي: النهيُ، وفي مقامِ النصح: النصحُ، وهكذا.. وهكذا..

وهذا القسمُ مطمحُ نظرِ البلغاءِ، وبه تتفاوتُ أقدارُهم، حتى أنَّ بعضهم سئلَ عن (البلاغة) فقال: « هي إيجازُ القصرِ » .

(وإيجازُ الحذفِ): يكونُ بحذفِ شيءٍ من العبارةِ لا يخلُ بالفهمِ، عند وجودِ ما يدلُّ على المحذوفِ، من قرينةٍ لفظيةٍ أو معنويةٍ، وذلك المحذوفُ إما أن يكونَ:

(١)- حرفاً - كقوله تعالى : (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا [مريم/٢٠]) - أصله: ولم أكنْ

(٢)- أو اسماً مضافاً، نحو قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [الحج/٧٨]) أي: في سبيلِ الله

(٣)- أو اسماً مضافاً إليه - نحو قوله تعالى : (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ [الأعراف/١٤٢]) أي: بعشر ليالٍ.

(٤)- أو اسماً موصوفاً - كقوله تعالى : (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا [الفرقان/٧١]) أي: عملاً صالحاً.

(٥)- أو اسماً صفةً - نحو قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة/١٢٥] أي: مضافاً إلى رِجْسِهِمْ.

(٦) - أو شرطاً - نحو قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران/٣١] أي: فإن تتبعوني.

(٧)- أو جواب شرطٍ - نحو قوله تعالى : (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنعام/٢٧]
أي: لرأيت أمراً فظيعاً.

(٨)- أو مسنداً - نحو قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [العنكبوت/ ٦١] أي: خلقهنَّ الله.

(٩) - أو مسنداً إليه - كما في قول حاتم الطائي :

أَمَاوِيٍّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى // إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أَيُّ إِذَا حُشِرَتِ النَّفْسُ يَوْمًا

(١٠) - أو مُتَعَلِّقًا - نحو قوله تعالى : (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
[الأنبياء/٢٣]) أي عَمَّا يَفْعَلُونَ

(١١)- أو جملة - نحو قوله تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ [البقرة/٢١٣]) أي فاختلّفوا: فبعث.

(١٢) - أو جَمَلًا - كقوله تعالى : (أَنَا أَنبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ [يوسف/٤٥ ، ٤٦]) ، أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف أَيُّهَا الصِّدِّيقُ .

واعلم أَنَّ دواعيَ الإيجازِ كثيرةٌ- منها الاختصارُ، وتسهيلُ الحفظِ وتقريبُ الفهم، وضيقُ المقام، وإخفاءُ الأمرِ على غيرِ السَّامع، والضجرُ والسَّامةُ، وتحصيلُ المعنى الكثيرِ باللفظِ اليسيرِ - الخ.

ويُستحسنُ «الإيجازُ» في الأمورِ التالية :

١ - الشكرُ على النعم. ٢ - الاعتذارُ. ٣ - الوعدُ. ٤ - الوعيدُ. ٥ - العتابُ. ٦ - التوبيخُ. ٧ - التعزيةُ. ٨ - شكوى الحال. ٩ - الاستعطافُ. ١٠ - أوامرُ الملوك ونواهيهم.

ومرجعك في إدراكِ أسرارِ البلاغةِ إلى الذوقِ الأدبيِّ والإحساسِ الروحيِّ .
ثانيًا: الإطنابُ :

تعريفه: زيادةُ اللفظِ على المعنى لفائدةٍ، أو هو تأديةُ المعنى بعبارةٍ زائدةٍ عن متعارفِ أوساطِ البلغاءِ، لفائدةٍ تقويتهِ وتوكيدهِ - نحو قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا [مريم/٤]) ، أي: كبرتُ، فإذا لم تكن في الزيادةِ فائدةً، يسمَّى « تطويلًا » إن كانت الزيادةُ في الكلامِ متعيّنةً.

ويسمَّى «حشواً» إن كانت الزيادةُ في الكلامِ غيرَ متعيّنةٍ لا يفسدُ بها المعنى ،

فالتطويلُ - كقولِ عديِّ العباديِّ في جذيمةِ الأبرش :

وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهْشِيهِ // وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

فالمين والكذب بمعنى واحد. ولم يتعين الزائد منهما، لأنَّ العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معيةً، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

والحشو - كقول زهير بن أبي سلمى :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ // وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي

فإن كلمة (قبله) زائدة لوضوح أنَّ الأَمْسِ قبلَ اليوم.

وكلُّ من الحشو والتطويل معيبٌ في البيان، وكلاهما بمعزلٍ عن مراتب البلاغة

واعلم أنَّ دواعي الإطناب كثيرةٌ، منها تثبيتُ المعنى، وتوضيحُ المراد، والتوكيد، ودفعُ الإيهام، وإثارةُ الحمية - وغير ذلك ،

أنواع الإطناب كثيرةٌ منها :

(١)- ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ: كقوله تعالى :
(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى [البقرة/٢٣٨])، وفائدته التنبيه
على مزيةٍ وفضلٍ في الخاصِّ ،حتى كأنَّه لفضله ورفعته جزءٌ آخرٌ، مغايرٌ
لما قبله، ولهذا خصَّ الصلاة الوسطى (وهي العصرُ على الصحيح) بالذكرِ
لزيادةِ فضلها.

(٢)- ذِكْرُ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ ،لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ مَعَ الْعِنَايَةِ بِشَأْنِ الْخَاصِّ، كقوله
تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ ([نوح/٢٨] وفائدته شمولُ بقية الأفراد، والاهتمامُ بالخاصِّ
لذكره ثانياً في عنوان عامٍّ، بعد ذكره أولاً في عنوانٍ خاصٍّ.

(٣) - الإيضاحُ بَعْدَ الإبهامِ، لتقريرِ المعنى في ذهنِ السامعِ بذكره مرتين،
مرةً على سبيلِ الإبهامِ ِوالإجمالِ، ومرةً على سبيلِ التفصيلِ والإيضاحِ،
فيزيده ذلك نبلاً وشرفاً، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى
تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الصف/١٠]،
[١١]) ، وكقوله تعالى : (وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ
مُصْبِحِينَ [الحجر/٦٦])، فقوله تعالى : (أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ) تفسيرٌ وتوضيحٌ
لذلك (الأمرِ) المبهمِ وفائدته توجيهُ الذهنِ إلى معرفته، وتفخيمُ شأنِ المبيِّنِ،
وتمكينه في النفسِ، فأبهمَ في كلمة (الأمرِ) ثُمَّ وَضَّحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَهْوِيلاً لِأَمْرِ
العذابِ.

(٤) - التوشيعُ: هو أن يؤتى في آخرِ الكلامِ بمثنًى مفسرٍ بمفردين ليُرى
المعنى في صورتين، يخرجُ فيهما من الخفاءِ المستوحشِ إلى الظهورِ
المأنوسِ، نحو: العلمُ علماً، علمُ الأبدانِ، وعلمُ الأديانِ.

(٥) - التكرارُ لداعٍ : هو ذكرُ الشيء مرتين أو أكثرَ - لأغراضَ عديدة:
الأولُ - التأكيدُ وتقريرُ المعنى في النفسِ، كقوله تعالى : (كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ [التكاثر/٣، ٤])، وكقوله تعالى : (فَإِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح/٥، ٦])

الثاني - طولُ الفصلِ - لنلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوةٌ، كقوله تعالى :
{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (٤) سورة يوسف ،فَكَرَّرَ (رَأَيْتُ) لَطَوِيلَ الْفَصْلِ ،
ومن هذا القبيل قولُ الشاعر :

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مُوَاثِقُ عَهْدِهِ // على كلِّ ما لاقِيْتَهُ لَكَرِيمُ

الثالث - قصد الاستيعاب، نحو: قرأت الكتاب باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة

الرابع - زيادة الترغيب في العفو ، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التغابن/٤١].

الخامس - الترغيبُ في قبولِ النصيحِ باستمالةِ المخاطبِ لقبولِ الخطابِ ٠
 ،كقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا
 قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ [غافر/٣٨] ،
 [٣٩]) ، ففي تكريرِ (يا قومِ) تعطيْفٌ لقلوبهم، حتى لا يشكُّوا في إخلاصه
 لهم في نصحه.

السادس - التتويُّهُ بشأنِ المخاطِبِ، نحو قوله صلى الله عليه وسلم : «
الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» أخرجه البخاري .

السابع - التردّد: وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلّق به أولاً، كما ورد في الأثر: « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ »

الثامن - التلذذُ بذكره، نحو قول مروان بن أبي حفصة :

سقى الله نجداً والسلام على نجد // // // // // ويا حبذا نجد على القرب والبعد

التاسع - الإرشادُ إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى: (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ (٣٤) ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ [القيامة/٣٤، ٣٥]).

(٦) - الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصّلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محلّ

لها من الإعراب - وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ - غير دفع الإيهام :

(أ) - كالدعاء ، نحو: إني - حفظك الله- مريضٌ ، وكقول عوف بن محلم الشيباني :

إِنَّ الثَّمَانِينَ، وَبُلَّغَتْهَا ... قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَىٰ تَرْجُمَانٍ

(ب) - التنبيه على فضيلة العلم ، كقول الشاعر :

واعلم، فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ... أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِّرَا

(ج) - التّزيه ، كقوله تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ [النحل/٥٧])

(د) - زيادة التأكيد ، كقوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ [لقمان/١٤])

(هـ) - الاستعطاف ، كقول المتنبي :

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ // يا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَ

(و) -التهويل ، نحو قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [الواقعة/٧٦])

(٧) - الإيغال : وهو ختمُ الكلامِ بما يُفيدُ نُكْثَةً يتمُّ المعنى بدونها، كالمبالغةِ في قول الخنساء :

وإنَّ صخرًا لتأتُمُ الهداةُ بهِ . // كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فقولها: «كأنه علمٌ» وافٍ بالمقصود، لكنها أعقبتُه بقولها « في رأسه نارٌ» لزيادةِ المبالغةِ، ونحو قوله تعالى : (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [البقرة/٢١٢]).

(٨) - التذييلُ: وهو تعقيبُ الجملِ بجُمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا تَوْكِيدًا لها ، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها ، نحو قوله تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء/٨١]).

ونحو قوله تعالى : {دَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} (١٧) سورة سبأ

والتَّذْيِيلُ قسمان: قسمٌ يستقلُّ بمعناه، لجريانه مجرى المثل، وقسمٌ لا يستقلُّ بمعناه، لعدم جريانه مجرى المثل، فالأولُ الجاري مجرى الأمثال، لاستقلالِ معناه، واستغنائه عما قبله كقول طرفة :

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتُهُ // لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَهُ

كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مَنْ تَعَلَّبِ . // مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

والثاني غير جار مجرى المثل إن لم يستغن عما قبله ، ولعدم استقلاله
بإفادة المعنى المراد، كقول النابغة :

لم يبق جودك لي شيئاً أوئله ./////////. تركتني أصحاب الدنيا بلا أملٍ
فالشطر الثاني مؤكد للأول، وليس مستقلاً عنه، فلم يجر مجرى المثل.

(٩) - الاحتراس، ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه
لوم، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه منه ، ويقال له التكميل ، سواء أوقع
الاحتراس في وسط الكلام، كقول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك غير مفسدها /////////////// صوب الربيع وديمة تهمي
فقوله غير مفسدها: للاحتراس .

أو وقع الاحتراس في آخره، نحو قوله تعالى : (وَيُطْعَمُونَ عَلَى حَبِّهِ
مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الإنسان/٨] أي: مع حب الطعام واشتهائهم له،
وذلك أبلغ في الكرم، فلفظ على حبه فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين في
المعنى، وكقول أعرابية لرجل : (أذل الله كل عدو لك إلا نفسك).

(١٠) - التتميم : وهو زيادة فضلة، كمفعول أو حال أو تمييز أو جار
ومجرور، توجد في المعنى حسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً كقول
ابن المعتز يصف فرساً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا /////////////// فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مبتذلاً، لا رقة فيه ولا طلاوة، وتوهم أنها
بليدة تستحق الضرب، ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر،
والمدح، والثناء، والذم والهجاء، والوعظ، والإرشاد، والخطابة في أمر

من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة، وكتب الولاة إلى الملوك، لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور، وهناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول في الشيء المستبعد: رأيتُه بعيني، وسمعتُه بأذني، وذقته بفمي، تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره، وكقوله تعالى: (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) [النحل/٢٦]، والسقف ُ لا يخرُّ طبعاً إلا من فوق، ولكنه دلَّ بقوله (من فوقهم) على الإحاطة والشمول

واعلم أنَّ الأطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحجته في ذلك أنَّ المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده ُ إحاطةً بالمعاني ، ولا يحاط بالمعاني إحاطةً تامةً، إلا بالاستقصاء والإطناب.

والمختار: أنَّ الحاجة إلى كلِّ من الإطناب، والإيجاز، ماسة: وكلُّ موضع لا يسدُّ أحدهما مكان الآخر فيه ، وللدوق السليم القول الفصل في موطن كلِّ منهما.

ثالثاً: - في المساواة:

تعريفها : هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون الألفاظ ُ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة، فإنها هي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي يعتمد عليه، كقوله تعالى : (وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ [البقرة/١١٠])، وكقوله تعالى : (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [الطور/٢١]

، وكقوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ [الروم/ ٤٤])، وكقوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، فَإِنَّ اللفظ فيه على قدرِ المعنى، لا ينقصُ عنه، ولا يزيدُ عليه، وكقول طرفة بن العبد :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا // وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
هذه أمثلةٌ للمساواة، لا يستغني الكلامُ فيها عن لفظٍ منه، ولو حُذِفَ منه شيءٌ لأخلَّ بمعناه.

***- مع علم البديع وبعض مباحثه:

- | | |
|-----------------------|--------------------------------------|
| ١ - الجناس | ٢ - الطباق والمقابلة |
| ٣ - السجع | ٤ - التورية |
| ٥ - حسن التعليل | ٧ - تأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس |
| ٨ - الاقتباس والتضمين | ٩ - الجمع |
| ١٠ - أسلوب الحكيم. | |

***- البديع عند البلاغيين:

تطلق كلمة البديع على الغريب العجيب ، أو الجديد الذي ينشأ على غير مثال سابق ، وهي في أسماء الله تعالى بمعنى الخالق ابتداء لا عن مثال سابق ، يقول تعالى (بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) البقرة ١١٧

وتنبه الشعراء بصفة خاصة إلى الأثر الذي يتركه هذا البديع فأولعوا به واستخدموه في أشعارهم باعتباره وسيلة للوصول إلى هذه الغاية : استعمله بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وابن الرومي ، والبحري ، حتى أصبح البديع غاية في ذاته على يد أبي تمام .

ويقال إن مسلم بن الوليد هو أول من أطلق كلمة البديع على هذا الفن وليس ابن المعتز ، فقد جاء مسلم بهذا الذي سماه الناس البديع وشاعت هذه الكلمة حتى صارت في العصر العباسي تعني كل صورة غريبة أو طريفة أو جديدة حتى طغت على الأساليب الشعرية أو النثرية .

جاء ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وأراد أن يجمع شتات هذه الألوان البديعية المتفرقة في سلك واحد ، فوضع اللبنة الأولى في بناء صرح البديع : جمع منه سبعة عشر لونا، وتباهى بعمله فقال وما جمع فنون البديع أحد قبلي ولا سبقني إليه مؤلف .

وعاصره قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) فجمع من ألوان البديع عشرين نوعا ، منها سبعة أنواع ذكرها ابن المعتز من قبل ، فكان ما زاده قدامة ثلاثة عشر نوعا فتكامل لهما ثلاثون . ثم تبعهما العلماء في رفع قواعد البناء ، فجمع أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) سبعة وثلاثين نوعا مضيفا إلى قدامة سبعة أنواع أخرى .

وأتى ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) فأضاف إلى البديع ما أضاف ، حتى بلغ به خمسة وستين بابا كما يقول السبكي، وجاء ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) فنظر في هذا الحشد من ألوان البديع فرأى بعضها ينشأ من وضع الألفاظ في مواضعها ، وبعضها يأتي من مناسبة الألفاظ للمعاني ، فجعلها نوعين : قسم يتعلق بالألفاظ وآخر يتعلق بالمعاني . فكانت هذه النظرة المتأملّة الفاحصة مدخلا للعلماء المتأخرين أن يقسموا البديع إلى محسنات معنوية ومحسنات لفظية .

ثم رأينا ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) يتناول البديع فيبديع ، ويذكر أنه وقف على أربعين كتابا في هذا الفن ، وأخذ منها سبعين نوعا ، واستخرج عشرين . وصنف ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) كتاب التفریع في البديع جمع فيه خمسة وتسعين نوعا

كل ذلك وألوان البديع ينطوي تحتها ما يدخل في علم المعاني ، وما يدخل في علم البيان ، وما يدخل في علم البديع . إلى أن جاء السكاكي (٦٢٦ هـ) وحاول أن يرسم الحدود بين هذه العلوم الثلاثة ويضع كلا منها موضعه الذي يراه فلا تختلط الحدود ، ولا تتداخل الأمور . فوضع أنواع البديع تحت اسم المحسنات وقسمها مهتديا بالخفاجي إلى محسنات معنوية ، ومحسنات لفظية ، وفصلها عن علم المعاني وعلم البيان .

وبقيت خطوة أخيرة قام بها الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) وهي أنه ضم هذه المحسنات التي ذكرها السكاكي تحت اسم البديع ، وانتهت إلى ذلك علوم البلاغة بأقسامها الثلاثة : معان ، وبيان ، وبديع . و ذكر الخطيب القزويني من البديع المعنوي ثلاثين نوعا . ومن اللفظي سبعة أنواع ،

وذكر أثناءها أمورا ملحقة بها تصلح أن تعد أنواع آخر. وما جاء به الخطيب هو المعتمد حتى الآن في دراستنا للبديع ، دون نظر إلى هذا السيل الجفاف الذي أتى به من قبله من ألوان البديع ، ومن جاء بعده من أصحاب البديعيات ، حتى وصلت على أيدي أصحابها إلى أكثر من مائتي نوع .

والبديع في الاصطلاح هو : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة . أي أن هذه الوجوه تعتبر محسنة للكلام بعد رعاية هذين الأمرين ، وإلا لكان البديع كتعليق الدر على أعناق الخنازير.

وقد يخلو الكلام الفصيح البليغ عن صنعة البديع ، كذلك يخلو الكلام الذي فيه صنعة البديع عن الفصاحة والبلاغة ، فيظن أن الصانع يستحق المدح باعتبار صنعة البديع ، والذم باعتبار فوات صناعة الفصاحة والبلاغة ، كلا ليس الأمر كذلك ، فصانع البديع لا يستحق المدح على الإطلاق وإنما يستحق المدح بعد رعاية شرائط البلاغة من رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، ولذلك دخلت هذه الشرائط في تعريف البديع . فالبديع لا يكون بديعا إلا بمراعاة ما يدخل في نطاق المعاني والبيان ، وحينئذ يعد الكلام الذي يشمل صنعة البديع هو أقصى مراتب الكلام في الكمال . فإذا عرفنا الكلام الكامل غاية الكمال قلنا :

إنه كلام بليغ موشى بالمحسنات البديعية

ومحسنات الكلام : إما معنوية ، وإما لفظية

فالمعنوي : هو ما يزيد المعنى حسنا ، إما بزيادة تنبيه على كل شيء ، أو بزيادة التناسب بين أجزاء الكلام ، فبعض هذه المحسنات المعنوية _ إذن

_ لا تخلو عن تحسين اللفظ . واللفظي : هو ما يزيد الألفاظ حسنا ، وإن كان لا يخلو عن تحسين المعنى .

أولاً: المحسنات البديعية اللفظية:

المحسنات البديعية: هي من الوسائل التي يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره وعواطفه ، وللتأثير في النفس ، وهذه المحسنات تكون رائعة إذا كانت قليلة و مؤدية المعنى الذي يقصده الأديب ، أما إذا جاءت كثيرة ومتكلفة فقدت جمالها و تأثيرها و أصبحت دليل ضعف الأسلوب ، وعجز الأديب . والمحسنات اللفظية هي تلك التي تعمل على تحسين أصالة اللفظ ، وإن حسنت المعنى تبعاً لتحسين اللفظ.

أشهر المحسنات اللفظية:

أولاً: الجناس: الجناس لغة مصدر جانس الشيء شاكله واتحد معه في الجنس واصطلاحاً هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى. وقال علي الجارمي ومصطفى أمين الجناس هو ان يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى أو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى ثم قال ابن الأثير الجرزي أن الجناس هو أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا كقوله تعالى. " والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ المساق " فالكلمتان متفقان في اللفظ لكن المعنى مختلف فيهما.

الجناس اللفظي: وهو أن يتفق اللفظين في الهيئة، وهو إما كامل أو ناقص، فالكامل هو أن يتفق اللفظان في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها. والناقص ما اختلف فيه أحد هذه الشروط.

من أمثلة الجناس اللفظي الكامل (التام) الآية القرآنية: {ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة} فالساعة الأولى المقصود بها يوم القيامة أما الساعة الثانية فالمقصود بها الساعة الزمنية. ومن أمثلة الجناس اللفظي الناقص قول أحمد شوقي : اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي والجناس هنا بين لفظي ينسي وأنسي، وهو ناقص لأن اللفظين اختلفا في حرف واحد مع اتفاقهما في ترتيب وعدد وهئية الحروف

أنواع الجناس اللفظي:

أولاً- الجناسُ التامُّ : هو ما اتفقَ فيه اللفظانِ المتجانسانِ في أربعة أشياء، نوعُ الحروف وعددها، وهيئاتها الحاصلة ُ منَ الحركاتِ والسكناتِ، وترتيبها مع اختلاف المعنى، وينقسمُ بدوره إلى ثلاثة أقسام ، هي المماثلُ والمستوفي وجناسُ التركيبِ

١- الجناسُ المماثلُ : هو ما كان ركناهُ من نوعٍ واحدٍ من أنواع الكلمة اسمين أو فعلين أو حرفين ِ

(أ) الجناسُ بينَ اسمين ،كقوله تعالى : {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} سورة الروم (٥٥) ، فالمراد بالساعة ِ الأولى يومُ القيامة، وبالساعةِ الثانيةِ المدة ُ من الزمانِ .

(ب) الجناسُ بينَ فعلينِ : مثلُ قول أبي محمد الخازن :

قَوْمٌ لَوْ أَنَّهُمْ ارْتَاضُوا لَمَا قَرَضُوا // أو أَنَّهُمْ شَعَرُوا بِالنَّقْصِ مَا شَعَرُوا
فشعروا الأولى بمعنى أحسوا وشعروا الثانية بمعنى نظموا الشعر .

يا سيداً حازَ رُقَى // بما حباني وأولى

أحسنَتَ برّاً فقلْ لي // أحسنَتَ في الشكرِ أو لا ؟

فالجِناسُ بُينَ أولى وهي كلمة مفردةٌ بمعنى منحَ وأعطى ، وبينَ أولاً وهي كلمةٌ مركبةٌ من َ أو العاطفةِ ِ ولا النافيةِ .

وكقول أبي الفتح البستي :

إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذاهِبُهُ // فَدَعُهُ فِدْوَلَتُهُ ذاهِبُهُ

فذا هبةُ الأولى مركبة من كلمتين ذا خبر كان - هبة مضاف إليه ،
والثانية كلمة واحدة ذاهبةٌ خبر ، ويسمى هذا النوع مقروناً.

ثانياً- الجِناسُ غيرُ التامِّ : هو ما اختلفَ فيه اللفظانِ في واحدٍ من الأمور
الأربعة السابقة التي يجبُ توافرها في الجِناسِ التامِّ وهي :
نوعُ الحروفِ، وعدُّها، وهيئاتُها الحاصلةُ من الحركاتِ والسكناتِ،
وترتيبُها مع اختلاف المعنى .

فإن اختلفَ اللفظانِ في أنواعِ الحروفِ فيشترطُ ألا يقعَ الاختلافُ
بأكثرَ من حرفٍ واحدٍ ، وهذا الجِناسُ يأتي على ضربين :

١- جناسٌ مضارعٌ : وهو ما كان فيه الحرفانِ اللذانِ وقعَ فيهما الاختلافُ
مقاربينِ في المخرجِ، سواءً كانا في أولِ اللفظِ، نحو قول الحريري : «
بيني وبينَ كنيَّ ليلٌ دامسٌ ، وطريقٌ طامسٌ » ، أو في الوسطِ، نحو قوله
تعالى : {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ} سورة الأنعام (٢٦) ، وقوله تعالى : وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢)
إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) [القيامة/٢٢-٢٤]

وكقول أبي فراس :

ما كنتَ تصبرُ في القدي- /////////////// م فلم صبرتَ الآنَ عَنَّا

ولقد ظننتُ بكَ الظنو /////////////// نَ لأنه مَن (ضنَّ ظنَّا)

أو في الآخر ، نحو قول النبي - صلى الله عليه وسلم : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »

٢- جناسٌ لاحقٌ : وهو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج ، سواءً أكانا في أول اللفظ ، نحو قوله تعالى : {وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} (١) سورة الهمزة ، أو في الوسط نحو قوله تعالى : {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} (٧٥) سورة غافر . وكقوله تعالى : { وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) [العاديات/٧، ٨] } .

وكقول الشاعر :

فإن حَلُّوا فليسَ لهم مفرٌّ /////////////// وإن رحلوا فليسَ لهم مقرٌّ

أو في الآخر ، نحو قوله تعالى : {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ..} سورة النساء (٨٣).

وإن اختلف اللفظ في أعداد الحروف سمي الجناس ناقصاً ، وذلك لنقصان أحد اللفظين عن الآخر ، وهو يأتي كذلك على ضربين :

١ - ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بحرف واحد ، سواءً أكان ذلك الحرف في أول اللفظ ، نحو قوله تعالى : {وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} (٢٩-٣٠) سورة القيامة ، أو في الوسط ، نحو : جَدِّي

جَهْدِي، أو في الآخر ، نحو: الهوى مطية الهوان . والأول يسمّى مردوفاً.
والثاني يسمّى مكتنفاً. والثالث مُطرّفاً.

ونحو الجناس المطرّف قول أبي تمام :

يَمْدُون مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ /////////////// تصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاصٍ قَوَاضِبِ

٢- ما كانت الزيادة فيه بأكثر من حرفٍ واحدٍ في آخره ، وربما سمّي هذا النوع مُذِيلاً (أو جناس التذييل)، ومن أمثلة ذلك قول النابغة الذبياني :

فِيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهِمَا /////////////// جَدِيدُ الرَدَى تَحْتَ الصِّفَا وَالصِّفَاحِ
وكقول الخنساء :

إِنَّ الْبَكَاءَ هُوَ الشِّفَا /////////////// ءُ مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وإن اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمّي جناس القلب ، نحو: «
حسامه فتح لأولياه، وحتف لأعدائه».

ويسمّى قلب كلّ، لانعكاس الترتيب، نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم
: « اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا » .

ويسمّى قلب بعض ِ ،نحو: « رحم الله امرأ، أمسك ما بين فكيه، وأطلق
ما بين كفيه

ومن ذلك قول الشاعر :

حُسامك فيه للأحباب فتح /////////////// ورمحك فيه للأعداء حتف

الجناس المعنوي : منه نوعان: جناس إضمّار وجناس إشارة.

أ - جناس الإضمار: هو أن يأتي بلفظٍ يحضر في ذهنك لفظاً آخر، وذلك اللفظ المحضّر يرادُ به غير معناه، بدلالة السياق، مثل قول الشاعر :

«مُنْعَمٌ» الجسم تحكي الماء رقتُهُ // // // // // وقلْبُهُ «قسوة» يحكي أبا
أوس

وأوس شاعرٌ مشهور من شعراء العرب، واسم أبيه حجر، فلفظ أبي أوس يحضر في الذهن اسمه، وهو حجر؛ وهو غير مراد؛ وإنما المراد: الحجر المعلوم.

ب - جناس الإشارة: هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشار للآخر بما يدلُّ عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعرُ على التصريح به، نحو قول الشاعر :

يا حمزة اسمح بوصلٍ وامنن علينا بقرب

في ثغرك اسمك أضحى مصحفاً وبقلمي

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين، وهو حمزة، وأشار إلى الجناس فيه، بأنَّ مصحفه، في ثغره، أي خمره وفي قلبه، أي جمرة

و بعدُ: فاعلم أنه لا يستحسنُ الجناسُ، ولا يعدُّ من أسباب الحسن، إلا إذا جاء عفواً، وسمح به الطبع

من غير تكلفٍ، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه، وتعرض قائله للسخرية والاستهزاء.

ثانياً: السجع:

تعريفه: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من (النثر)، وأفضله: ما تساوت فقره - مثاله قوله صلى الله عليه وسلم -: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » .

أنواع السجع: له ثلاثة أنواع :

أ- سجع قصير ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) فُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) } [المدثر/١-٧].

ب- سجع متوسط ، كقوله تعالى : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) } [القمر/١ ، ٢].

ج- سجع طويل، كقوله تعالى : { إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٤) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) } [الأنفال/٣٤ ، ٤٤].

- وينقسم كذلك إلى ثلاثة أقسام :

أولها - (السجع المطرف): وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى : { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) } [نوح/١٣ ، ١٤] ، ونحو قوله تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) } [النبا/٦ ، ٧] .

ثانيها - (السَّجْعُ المُرَصَّعُ): وهو ما اتفقت فيه ألفاظُ إحدَى الفقرتين ِ أو أكثرها في الوزنِ والتقفية، كقول الحريري، « هو يطبّع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرعُ الأسماعَ بزواجر وعظه » ، وكقول الهمذاني: « إنَّ بعدَ الكدرِ صفوًا، وبعدَ المطرِ صحوًا ».

ثالثها - (السَّجْعُ المتوازي): وهو ما كان الاتفاقُ فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط ، نحو قوله تعالى: { فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) } [الغاشية/١٣-١٥] ، لاختلاف سُرر، وأكواب، وزناً وتقفيةً، ونحو قوله تعالى: { وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) } [المرسلات/١، ٢]، لاختلاف المرسلات، والعاصفاتِ وزناً فقطً ، ونحو: « حُسِدَ النَّاظِقُ وَالصَّامِتُ، وَهَلَكَ الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ - لاختلافِ ما عدا الصَّامِتِ، والشَّامِتِ: تقفيةً فقط.

والأسجاعُ مبنيةٌ على سُكونِ أواخرها، وأحسنُ السجعِ ما تساوت فقره، نحو قوله تعالى: { فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٌّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَافِكَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) } [الواقعة/٢٨-٣٤]، ثم ما طالت فقرته الثانية، نحو قوله تعالى: { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) } [النجم/١-٤]، ثم ما طالت ثالثته، نحو قوله تعالى: { النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) } [البروج/٥-٧].

ولا يحسنُ عكسُه، لأنَّ السامعَ ينتظرُ إلى مقدارِ الأولِ، فإذا انقطعَ دونهنَّ أشبهَ العثَارَ ، ولا يحسنُ السجعُ إلا إذا كانتِ المفرداتُ رشيقةً، والألفاظُ ُخدمَ المعاني، ودلَّتْ كلُّ منَ القرينتينِ على معنى غيرَ ما دلَّتْ عليه الأخرى، وحينئذٍ يكونُ حليةً ظاهرةً في الكلامِ، ولا يستحسنُ السجعُ أيضاً إلا إذا جاءَ عفواً، خالياً من التكلفِ والتصنعِ، ومن ثمَّ لا تجدُ لبلِغِ كلاماً يخلو منه، كما لا تخلو منه سورةٌ وإنَّ قَصُرَتْ. ولا يقالُ في القرآنِ «أسجاعٌ» لأنَّ السجعَ في الأصلِ هديرُ الحمامِ ونحوها؛ بل يقالُ: «فواصلٌ» .

والسَّجَعُ موطنه النثرُ، وقد يجيءُ في الشَّعرِ نادراً: كقول المتنبي :
فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ وَالرَّوْمُ فِي وَجَلٍ // وَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ
ويقول علماء البلاغة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفاً عليها . لأن الغرض أن يجانس المنشئ بين القرائن ، ويزاوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف . إذ لو ظهر الإعراب لفات ذلك الغرض ، وضاق ذلك المجال على قاصده ، ألا ترى أنهم لو بينوا الإعراب بمثل قولك : " ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آتٍ " للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة ، والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق.

ثالثاً: الترصيع:

تعريفه: هو توازنُ الألفاظِ، معَ توافقِ الأعجازِ، أو تقاربِها.

مثالُ التوافق: نحو قوله تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) } [الانفطار/ ١٣، ١٤].

ومثالُ التقارب: نحو قوله تعالى: { وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) } [الصافات/ ١١٧-١١٩].

ومثل قول المتنبي :

قَدْ حِرْنَ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ // في دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظْفِرُهُ
حِرْنَ تحيرنَ يعني الأبصارُ وأرادَ بالبشر الممدوحُ، وبالقمر وجهه، وجعله
أسداً في الدرع لشجاعته، والأظفرُ جمع أظفارٍ، وقوله تدمى أن ٠ تتلطخ
بالدمِ بافتراسه أعداءه .

ومثله قول الشاعر :

كحلاءُ في برجٍ صفراءُ في نعجٍ . // كأنَّها فضَّةٌ قد مسَّها ذهبُ
وكقول الشاعر في الغزل :

كالبدْرِ إنْ سَفَرْتُ والغصنِ إنْ خَطَرْتُ ... والريمِ إنْ نَظَرْتُ، معسولةُ الشنبِ
أو كقول الشاعر وله روايات عدة :

سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا // حَمْرٌ مَجَاسِدُهَا صَفْرٌ تَرَاقِيهَا

سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا . // دُرْمٌ مَرَاقِيهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمٌ

سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا // مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتْ عَلَى الْكَرَمِ

ومنه قول الشاعر :

هوانُ الحياة، وذلُّ المماتِ . ////////////// وكلاً أراه طعاماً وبيلاً

فإن كان لا بدَّ من ذلِّ .//////////////////// فسيروا إلى الموتِ سيراً جميلاً

ومنه قول ليلي الأخيلية :

وقد كان مرهوبَ السنانِ وبَيِّنَ اللـ ////////////// سان ومجدّام السرى غيرِ
فاترِ

ومثل قول الخنساء تصف أخاها صخراً :

لو كان للذهر مالٌ عند متلده ////////////// لكان للذهرِ صخرٌ مالٌ فتيانِ

أبي الهزيمة ِ آتٍ بالعزيمة ِ متلافٍ ////////////// الكريمة ِ لا نكسُ
ولا وانِ

حامي الحقيقة ِ بسألِ الوديقة ِ///////////////// معتاقُ الوسيقة ِ جلدٌ غيرِ
ثنيانِ

طلاعُ مرقة ِ مناعُ مغلقة ِ ////////////// ورأدُ مشربة ِ قطاعُ أقرانِ

رابعاً: التسميـطُ :

تعريفه : هو أن يجعلَ الشاعرُ بيتَـه على أربعة ِ أقسامٍ: ثلاثة منها على
سَجْعٍ واحدٍ، بخلافِ قافيةِ البيتِ كقول جنوب الهذليّة :

وحربٌ ورَدَتْ وثغرٌ سَدَدَتْ ////////////// وعِلْجٌ شَدَدَتْ عليه الحبالا

وقول الشاعر :

في ثَغْرِهِ لَعَسَ فِي خَدِّهِ قَبَسٌ // في قَدِّهِ مَيْسٌ فِي جِسْمِهِ تَرْفٌ

و كقول مروان بن أبي حفصة :

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا // أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا
وَأَجَزَلُوا

فَأَتَتْ بَعْضُ أَجْزَاءِ هَذَا الْبَيْتِ مَسْجَعَةً عَلَى خِلَافِ قَافِيَتِهِ، لَتَكُونَ الْقَافِيَةُ
بِمَنْزِلَةِ السَّمِطِ، وَالْأَجْزَاءُ الْمَسْجَعَةُ بِمَنْزِلَةِ حَبِّ الْعَقْدِ، لَكُونَ التَّسْمِيَةُ يَجْمَعُ
حَبَّ الْعَقْدِ وَيَرْبِطُهُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّسْمِيَةِ وَالتَّفْوِيْفِ، تَسْجِيعُ بَعْضِ أَجْزَاءِ
بَيْتِ التَّسْمِيَةِ، وَخَلْقُ كُلِّ أَجْزَاءِ بَيْتِ التَّفْوِيْفِ مِنَ السَّجْعِ بَتَّةً، وَالْمُرَادُ
بِأَجْزَاءِ التَّسْمِيَةِ بَعْضُ أَجْزَاءِ التَّقْطِيعِ، وَيَسْمَى تَسْمِيَةً التَّبْعِيضِ.

وَمِنْ التَّسْمِيَةِ نَوْعٌ آخَرُ يَسْمَى تَسْمِيَةً التَّقْطِيعِ، وَهُوَ أَنْ يَسْجَعَ جَمِيعَ أَجْزَاءِ
التَّفْعِيلِ عَلَى رَوِيٍّ يَخَالِفُ رَوِيَّ الْقَافِيَةِ، كَقَوْلِي :

وَأَسْمَرُ مَثْمَرٌ بِمِزْهِرٍ نَضْرُ . // مِنْ مَقْمَرٍ مَسْفَرٍّ عَنْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ
فَجَاءَتْ جَمِيعُ أَجْزَاءِ التَّفْعِيلِ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ سُبَاعِيهَا وَخُمَاسِيهَا مَسْجَعَةً
عَلَى خِلَافِ سَجْعَةِ الْجُزْءِ الَّذِي هُوَ قَافِيَةُ الْبَيْتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

خامساً: التطريزُ :

تعريفه : هو أن يكون صدرُ النثرِ أو الشعرِ مُشتملاً على ثلاثة أسماء
مختلفة المعاني، ويكون العجزُ صفةً متكررةً بلفظٍ واحدٍ، وسماه بعض
علماء البلاغة بالتوشيع ، ومنه قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم:
« لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا ، وَطُولِ الْأَمَلِ » .

وكقول القائل :

وتَسْقِينِي وتَشْرَبُ مِنْ رَحِيقِ خَلِيقٍ أَنْ يُلقَبَ بالخلوقِ
كَأَنَّ الكأسَ فِي يَدِهَا وَفِيهَا عَقِيقٌ فِي عَقِيقٍ فِي عَقِيقِ
ومثل قول أبي تمام :

أَعْوَامَ وَصَلَ كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذَكَرُ النَّوَى ، فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامُ هَجَرٍ أَرْدَفَتْ بِجَوَى َّ أَسَى َّ ، فَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ
ومنه قول الشاعر :

أَمْسِي وَأَصْبِحُ مِنْ هَجْرَانِكُمْ وَصَبَاً ... يَرِثِي لِي الْمَشْفِقَانِ : الْأَهْلُ ، وَالْوَلَدُ
قَدْ خَدَدَ الدَّمْعُ خَدِي مِنْ تَذَكُّرِكُمْ ... وَاعْتَادَنِي الْمَضْنِيَانِ : الْوَجْدُ ، وَالْكَمْدُ
غَابَ عَنْ مَقْلَتِي نَوْمِي وَنَافَرَهَا وَخَانَنِي الْمُسْعِدَانِ : الصَّبْرُ ، وَالْجُلْدُ
لَوْ رَمْتُ إِحْصَاءَ مَا بِي مِنْ جَوَى وَضْنَى ... لَمْ يَحْصِهِ الْمَحْصِيَانِ : الْوِزْنُ ،
وَالْعَدْدُ

أَوْ رَمْتُ مِنْ ضَعْفِ جِسْمِي حَمْلَ خَرْدَلَةٍ ... مَا ضَمَّهَا الْأَقْوِيَانِ : الزَّنْدُ ،
وَالْعَضْدُ

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مِنْ أَهْوَاهُ كَيْفَ جَرَتْ بِشَخْصِنَا الْحَالَتَانِ : الْقَرْبُ ، وَالْبَعْدُ
لَا غَرَوَ لِلدَّمْعِ أَنْ تَجْرِيَ غَوَارِبُهُ وَتَحْتَهُ الْمَضْرِمَانِ : الْقَلْبُ ، وَالْكَبْدُ
كَأَنَّمَا مَهْجَتِي شَلَوُ بِمَسْبَعَةٍ يَنْتَابُهَا الضَّارِيَانِ : الذَّنْبُ ، وَالْأَسْدُ

لم يبقَ غيرُ خفيّ الروحِ في جسدي فداؤك الباقيان: الروحُ، والجسدُ
إني لأحسدُ في العشاقِ مصطبراً ... وحسبُك القاتلان: الحبُّ، والحسدُ
وقال ابن حيدرة :

أنى يفاخرُ أو يطاولُ مَنْ ... أضحى يقرُّ لفخره الفخرُ
مَنْ سار والتوفيقُ صحبتُهُ ... والواقيان: الجدُّ، والنصرُ
وأقام والأقيالُ تخدمه ... والماضيان: السيفُ، والأمرُ
وأني وجلتها تدين له ... والواجبان: الحمدُ، والشكرُ
صدقتُ فراسته ومولده ... والمنذران: الفالُ، والزجرُ
وغدا ودون محله زحلٌّ ... والنيران: الشمسُ، والبدرُ
وأقرَّ عجزاً عن سماحته ... الأجودان: الغيثُ، والبحرُ
نشرتُ فضائله مواهبه ... والسائران: النظمُ، والنثرُ
تغنيه في الأعداءِ هيبتُهُ ... لا المتعبان: الكيدُ، والمكرُ
متورّعٌ تنهاه همته ... والزاجران: الدينُ، والذكرُ
تلهيه قبلته ومصحفه ... لا المصبيان: اللهوُ، والخمرُ
ويزيده شرفاً تواضعه ... لا الفاتنان: التيهُ، والكبرُ
شكرتُ لسيرته رعيته ... والآمنان: البدوُ، والحضرُ
يا مَنْ له دامت سعادته ... والغادران: الدهرُ، والعمرُ
خان العبيدَ غداةً بينهم ... العدتان: العزمُ، والصبرُ

وأطَارَ نومُهُمُ تخلفُهُم ... والموقظانِ: الهمُّ، والفكرُ
واعتادهم شوقَ يؤنبُهُم ... والمزعجانِ: الشوقُ، والذكرُ
وسعى بهم صرفَ سعى لهم ... والدهرُ فيه: الخيرُ، والشرُّ

ثانياً: المحسنات المعنوية:

المحسن المعنوي: هو ما كان التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً، ثم إلى اللفظ ثانياً، وما يميز هذا النوع أنه لو غير أحد اللفظين ووضع مكانه لفظ مرادف له لبقى المحسن كما هو ، كما كان قبل التغيير.

فقول الله تعالى: (قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) آل عمران: ٢٦. فيه طباق بين (تؤتي) و(تنزع)، و(تعز) و(تذل)، فلو وضع مكان اللفظ ما يرادفه، في غير القرآن الكريم، فوضع لفظ(تعطي)مكان (تؤتي)، ولفظ (تأخذ)مكان (تنزع)، ولفظ (تضعف)مكان (تذل)، لم يتغير المحسن في الأسلوب.

من أشهر المحسنات المعنوية:

١ - الطباق والمقابلة:

هو الجمعُ بين لفظين متقابلين في المعنى، وهو نوعان: حقيقي واعتباري
فالتقابل الحقيقي هو أنواع :

أ- تقابلُ تضادٍّ ،نحو قوله تعالى : {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} (٤٣)
سورة النجم .

ب- تقابلُ إيجابٍ وسلبٍ، نحو قوله تعالى : {.... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} (٩) سورة الزمر

ج - تقابلُ عدمٍ وملَكَةٍ ، كقوله تعالى : {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} (١٩) سورة فاطر

د - تقابلُ تضاييفٍ كقولك : (أبو الحسنِ صفِيَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وابْنُهُ حَبِيبُهُ)

والثاني - تقابلًا اعتبارياً ، كقوله تعالى : {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} (٤٤) سورة النجم

- صورُ الطَّباقِ:

يكونُ الطَّباقُ بين :

أ- اسمين ٍ - نحو قوله تعالى : {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣) سورة الحديد ، وكقوله تعالى : {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} سورة الكهف (١٨).

ب- فعلين - نحو قوله تعالى : {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} سورة النجم (٤٣)، وكقوله تعالى : {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} سورة الأعلى (١٣) .

ج - حرفين - نحو قوله تعالى : {.. وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ...} (٢٢٨) سورة البقرة، وقوله تعالى : { لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ....} سورة البقرة (٢٨٦) .

د - لفظين من نوعين مختلفين - نحو قوله تعالى : {..... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} سورة الزمر (٣٦) ، بين فعل واسم، وكقوله تعالى : {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...} سورة الأنعام (١٢٢)، بين اسم وفعل .

أقسام الطباق:

ينقسم إلى قسمين طباق إيجاب وطباق سلب :

أ- طباق الإيجاب: هو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً ، نحو قوله تعالى : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سورة آل عمران (٢٦) ، وكقوله تعالى : {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ....} سورة الكهف (١٨) ، ففيهما تطابق إيجابي بين هذه المذكورات .

ب- طباق السلب: هو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد ، أحدهما مثبت مرةً، والآخر منفي تارةً أخرى، في كلام واحد ، نحو قوله تعالى : {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ.....} سورة النساء (١٠٨) ، ونحو قوله تعالى : {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} سورة الروم (٧) ، ونحو قوله تعالى : {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} سورة الزمر (٩).

- أو أحدهما أمر، والآخر نهى، نحو قوله تعالى : {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} سورة الأعراف (٣)

، ونحو قوله تعالى : {.. فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ..} سورة المائدة (٤٤)

المقابلة:

تعريفها: لغةً المواجهة ، واصطلاحاً : هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، أو مجموعة كلماتٍ ضدَّ مجموعة كلماتٍ في المعنى على التوالي .

صور المقابلة: صورها خمسة :

أ- مقابلةً معنيين بمعنيين ، كقوله تعالى : {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (٨٢) سورة التوبة .

ب- مقابلة ثلاثة بثلاثة ، نحو قوله تعالى : {... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} سورة الأعراف . (١٥٧)

ج - مقابلة أربعة بأربعة ، كقوله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) [الليل/٥-١٠] } .

وكقول الشاعر أبي تمام :

يَا أُمَّةَ كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا // دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا

د - مقابلة خمسة بخمسة ، قال المتنبي :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادٌ لَّيْلٍ يَشْفَعُ لِي ///// وَأَنْتَنِي وَبَيَاضُ الصَّبْحِ يُغْرِي بِي

هـ - مقابلة ستة بستة ، قال عنتره العبسي :

على رأسِ عبدِ تاجٍ عزَّ يزِينُهُ.//////////. وفي رجلٍ حرٍّ قيدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ

وتصل المقابلة إلى مقابلة عشرة عشرة أحياناً.

الفرقُ بينَ المقابلةِ والطباقِ :

الطباقُ: حصولُ التوافقِ بعد التنافي، كالجمع بين أضحك وأبكى بعد

تتألف من قول الله تعالى : {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} سورة النجم (٤٣) .

المقابلة: حصولُ التنافي بعد التوافق، كالجمع بين الضحك والقلة ، ثم

إحداثُ التنافي حيثُ تقابلُ الأولُ بالأولِ والثاني بالثاني في قوله تعالى :

{فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} سورة التوبة (٨٢)

٢ - التورية:

تعريفها: لغة – مصدر، ورَّيتُ الخبرَ توريَّةً: إذا سترته، وأظهرتُ غيره .

واصطلاحاً: هي أن يذكرَ المتكلمَ لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهما قريبٌ غيرُ

مَقْصُودٌ وَدَلَالَةُ الْفِظِ عَلَيْهِ ظَاهِرَةٌ، وَالْآخِرُ بَعِيدٌ مَقْصُودٌ، وَدَلَالَةُ الْفِظِ

عليه خَفِيَّةٌ، فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ: أَنَّهُ يُرِيدُ الْمَعْنَى الْقَرِيبَ، وَهُوَ إِنَّمَا يُرِيدُ الْمَعْنَى

البعيدَ بقرينةٍ تشيرُ إليه ولا تُظهِرُه، وتستترُه عن غير المتيقِظِ الفطن، كقوله

تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) [سورة الأنعام،

الآية: ٦٠]، أراد بقوله جرحتم معناه البعيدُ، وهو ارتكابُ الذنوبِ، ولأجلِ

هَذَا سُمِّيَتِ التَّوْرَةُ إِيهَامًا وَتَخْيِيلًا ۖ

وكقول سراج الدين الوراق :

أصُونُ أديمَ وجهي عَن أناسٍ // لقاء الموتِ عندهم الأديبُ

وَرَبُّ الشَّعرِ عندهم بَغِيضٌ // وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُم "حَبِيبُ"

وهي تنقسم إلى قسمين :

(١) - مجردة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين: كقول الخليل لما سألته الجبار عن زوجته: فقال «هذه أختي» - أراد أخوة الدين، وكقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ [الأنعام/٦٠]) يريدُ بجرحتكم المعاصي .

(٢) - مرشحة : وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأنَّ القريبَ غيرُ مراد، فكأنه ضعيفٌ، فإذا ذكر لازمُه تقوى به، نحو قوله تعالى : {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (٤٧) سورة الذاريات، فإنه يحتمل (الجارحة) وهو القريبُ، وقد ذكر من لوازمه البنيانُ على وجه الترشيح ، ويحتمل (القدرة) وهو البعيدُ المقصودُ.

وقال ابن نباتة :

أقولُ وقد شَنَوَا إلى الحربِ غارةً // دعوني فإني آكلُ العيشَ بالجبنِ
الشاهدُ فيه : العيشُ والجبنُ ، فالعيشُ يعني الخبزَ ويعني الحياة ، والجبنُ يعني المصنوع من اللبن ، ويعني الخورُ عكسُ الشجاعةِ .

أو كقول بعضهم :

فإن ضيعتُ فيه جميعَ مالي // فكم من لحيةٍ خلقتُ بموسَى

فيه التورية المرشحة، بذكر اللحية والحلق، وهما يناسبان المورى به وهو «موسى الحديد» والمورى عنه الاسم المذكور.

ويقول الشاعر :

حماة في بهجتها جنة // // // // // وهي من الغم لنا جنة

لا تأسوا من رحمة الله // // // // // فقد رأيتُ العاصي في الجنة

في هذا الكلام تورية مرشحة، فإن ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي المورى به الذي هو من العصيان، والمورى عنه النهر المعروف الذي عبر حماه.

٣ - حسن التعليل:

تعريفه : هو أن ينكر الأديب صراحةً، أو ضمناً، علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلّة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطيف، ومشملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي

يرمي إليه، يعني أن الأديب: يدعي لوصف علة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسناً وطرافةً، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً، كقول المعري في الرثاء :

وما كلفة البدر المنير قديمة // // // // ولكنها في وجهه أثر اللطم

يقصد: أن الحزن على (المرثي) شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدعي أن كلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من (أثر اللطم على فراق المرثي) .

ومثله قول الشاعر الآخر :

أَمَّا ذُكَاءٌ فَلَمْ تَصْفَرْ إِذْ جَنَحَتْ // إِلَّا لِفِرْقَةٍ ذَاكَ الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ

يقصدُ: أَنَّ الشَّمْسَ لم تصفّر عند الجنوحِ إلى المغيّب للسبب المعروف ولكنها (اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح) .

ومثله قول الشاعر الآخر :

ما قَصَرَ الْغَيْثُ عَنْ مَصْرِ وَتَرْبَتِهَا // طَبْعاً وَلَكِنْ تَعْدَاكُمْ مِنَ الْخَجَلِ
وَلَا جَرَى النَّيْلُ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَرِفٌ // بِسَبْقِكُمْ فَلَذَا يَجْرِي عَلَى
مَهْلٍ

ينكرُ هذا الشاعرُ: الأسبابَ الطبيعيةَ لقلّةِ المطرِ بمصر، ويلتمسُ لذلك سبباً آخر: وهو (أنَّ المطرَ يخجلُ أنْ ينزلَ بأرضٍ يعمّها فضلُ الممدوحِ وجوده) لأنه لا يستطيعُ مباراته في الجودِ والعطاء.

ولا بدّ في العلة أن تكون ادعائية، ثم إنَّ الوصفَ أعمّ من أن يكون ثابتاً فيقصدُ بيانُ علته، أو غيرُ ثابتٍ فيرادُ إثباته. وهذا الوصفُ الذي يدّعى له العلةَ واحدٌ من أمرين : ثابتٌ وغيرُ ثابتٍ

الأول- الثابتُ وهو نوعان :

(أ) - وصف ثابتٌ غيرُ ظاهرِ العلة - كقول الشاعر :

بينَ السيفِ وعينيها مشاركةٌ // من أجلها قيلَ للأجفانِ أجفانُ
وقول الشاعر :

زَعَمَ الْبِنَفْسُجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ ... حُسْنًا فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

فخروجُ ورقةِ البنفسجِ إلى الخلفِ لا علةٌ له، لكنه ادّعى أنَّ علته الافتراءُ على المحبوب.

(ب) - وصفٌ ثابتٌ ظاهرُ العلة، غيرُ التي تذكرُ، كقول المتنبّي :

ما به قتلُ أَعاديهِ ولكنَّ /////////////// يتّقي إخلافَ ما ترْجو الذنابُ

فإنَّ قتلَ الملوكِ أعداءَهُم في العادة لإرادة هلاكهم وأنَّ يدفعوا مضارَّهُم عن أنفسهم حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لما ادعاه من أنَّ طبيعة الكرمِ قد غلبت عليه، ومحبتُهُ أن يصدق رجاءَ الراجين بعثته على قتلِ أعدائه لما علم أنه لما غدا للحربِ غدتِ الذنابُ تتوقعُ أن يتسعَ عليها الرزقُ من قتلاهم، وهذا مبالغةٌ في وصفه بالجود، ويتضمَّن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخيليٍّ أي تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم، فإذا غدا للحربِ رجتِ الذنابُ أن تنالَ من لحومِ أعدائه، وفيه نوعٌ آخرٌ من المدح، وهو أنه ليسَ ممن يسرفُ في القتلِ طاعةً للغیظِ والحنقِ .

والثاني - وصفٌ غيرُ ثابتٍ، وهو نوعان :

(١) - إمّا ممكنٌ ، كقول مسلم بن الوليد :

يا واشياً حَسَنْتُ فِينَا إِسَاءَتُهُ . /////////////// نَجَى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ

فاستحسانُ إِسَاءَةِ الواشي ممكنٌ، ولكنه لما خالفَ الناسَ فيه، عقبه بذكرِ سببه، وهو أنَّ حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلمَ إنسانٌ عينه من الغرقِ في الدموع. وما حصلَ ذلك فهو حسنٌ

(٢) وإما غير ممكن - كقول الخطيب القزويني :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوَازِ خِدْمَتُهُ // لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ

فقد ادعى الشاعر: أَنَّ الجوزاءَ تريدُ خدمةَ الممدوحِ، وهذه صفةٌ غيرُ ممكنةٍ، ولكنه علَّلها بعلَّةٍ طريفةٍ، ادَّعاها أيضاً ادِّعاءً أدبياً مقبولاً، إذ تصوّر أَنَّ النجومَ التي تحيطُ بالجوزاءِ، إنما هي نطاقٌ شدَّته حولُها على نحو ما يفعلُ الخدمُ، ليقوموا بخدمةِ الممدوحِ

٤ - أسلوب الحكيم:

تعريفُهُ: هو أنْ تحدَّثَ المخاطَبَ بغيرِ ما يتوقَّعُ

أنواعه: هو ضربانٍ: الأولُ: - إمَّا أنْ نتجاهلَ سؤالَ المخاطَبِ ، فنجيبُهُ عن سؤالٍ آخرَ لم يسألهُ، مثاله قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} سورة البقرة (١٨٩) ، فقد سألوا عن الهلال ما باله يبدو صغيراً فيكبرُ ثم يعودُ كما بدأ ، فقد كان سؤالهم عن السببِ ، وكان الجوابُ عن الحكمةِ من تغيُّرِ الأهلَّةِ وهي مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .

وكقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (٢١٥) سورة البقرة ، فقد سألوا النبيَّ عليه الصلاة والسلامُ عن حقيقةِ ما ينفقونَ من مالهم، فأجيبوا ببيانِ طرقِ إنفاقِ المالِ: تنبيهاً على أَنَّ هذا هو الأولى والأجدرُ بالسؤال عنه. .

والثاني - وإما أن نحمل كلامه على غير ما كان يقصده ويريدُه ، وفي هذا توجيه للمخاطب إلى ما ينبغي عليه أن يسألَ عنه أو يقصده من كلامه ، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ » . قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » أخرجه مسلم ، . فقد حمل صلى الله عليه وسلم المفلِسَ على غير مقصودِ المجيبين ، وهو المفلِسُ من الحسناتِ ، وليس المفلِسُ من المال ، وذلك ليبينَ لهم أنَّ هذا الإفلاسَ أهمُّ بكثير من ذاك .

مثال آخر قول الشاعر :

ولمَّا نَعَى النَاعِي سَأَلْنَاهُ خَشِيَةً // وللعين خوفُ البين تسكابُ أمطارِ
أَجَابَ قَضَى! قلنا قَضَى حَاجَةُ الْعَلَا // فقال مَضَى ! قلنا بكلِّ
فَخَارِ

فقد حملَ المخاطبُ كلمةَ (قَضَى) على إنجازِ الحوائجِ وقضائِها ، أمَّا المتكلمُ فقصدَ منه الموتَ ، وكذلك قوله (مَضَى) أرادَ المتكلمُ (ماتَ) وحملها المخاطبُ على أنه ذهبَ بالفضلِ ، ولم يدعْ لأحدٍ شيئاً .

و لمَّا توجه خالد بن الوليد رضي الله عنه لفتح الحيرة أتى إليه من قبل أهلها رجل ذو تجربة، فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: في ثيابي فقال: علام

أنت؟ فأجاب: على الأرض؛ فقال: كم سنُّك؟ قال: اثنتان وثلاثون، فقال
أسألك عن شيءٍ وتجيبني بغيره؟ فقال: إنما أجبتُ عما سألتُ.

ومثله قيل لتاجرٍ : كم رأسُ مالك؟ فقال: إني أمينٌ ، وثقةُ الناس بي عظيمةٌ .

وسئل أحدُ العمال : ما ادخرتَ من المالِ ؟ فقال : لا شيءٌ يعادلُ الصَّحَّةَ

٥ - تأكيد المدح بما يشبه الذم :

له ثلاثة أساليب :

الأسلوبُ الأولُ: - أن يستثنى من صفةٍ ذمٍّ منفيةٍ عن الشيءِ صفةً مدحٍ
بتقدير دخولها فيه ، نحو قوله تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا
(٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) } [الواقعة/٢٥ ، ٢٦] ، فالتأكيد فيه من
جهةٍ أنه كدعوى الشيءِ ببينةٍ، وأنَّ الأصلَ في الاستثناءِ الاتصالُ، فذكر
ذاته قبلَ ذكر ما بعدها يومَ إخراجِ الشيءِ مما قبلها، فإذا وليها
صفةٌ مدحٍ جاءَ التأكيدُ.

وكقول النابغة :

ولا عيبَ فيهمَ غيرَ أنَّ سيوفَهُمَ // // // // // بهنَّ فُلُولٍ من قِراعِ الكتائبِ

وإنما كان هذا الاستثناءُ من المبالغةِ في المدحِ ، لأنه قد دلَّ به على أنه
لو كان فيهم عيبٌ غيره لذكره، وأنه لم يقصدْ إلا وصفَهُم بما فيهم على
الحقيقةِ .

وقول الشاعر :

ولا عَيْبَ في معروفهم غيرَ أَنَّهُ // يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكِرِينَ عن الشُّكْرِ

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول حاتم الطائي :

وما تشتكيني جارتِي غيرَ أَنَّنِي // إذا غَابَ عنها بعْلُها لا أزورها

الأسلوبُ الثاني: - أنْ يثبتَ للشيءِ صفةً مدحٍ ، ويأتي بعدها بأداةِ استثناءٍ تليها صفةٌ مدحٍ أخرى والنوع الأول أبلغ ، كقوله صلى الله عليه وسلم يحكي عن رجل من أهل الكتاب : « إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقِيلَ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ قَالَ مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ انْظُرْ . قَالَ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَارِيهِمْ ، فَأَنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَاتَّجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ . فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » .

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضاً أن يكون منقطعاً لكنه باق على حاله لم يقدر. متصلاً فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين .

و كقول الشاعر :

ولا عَيْبَ فيه غيرَ أَنِّي قَصَدْتُهُ // . فَأَنْسَتَنِي الْأَيَّامُ أَهْلًا وَمَوْطِنًا

وكقول النابغة الجعدي :

فَتَى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غيرَ أَنَّهُ . // جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي من المَالِ بَاقِيَا

وأما قوله تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) } [الواقعة/٢٥-٢٧]، فيحتمل الوجهين، وأما قوله تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } (٦٢) سورة

مريم ، فيحتملها ، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلاً، لأنَّ معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره ُمن قبيل اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الإكرام .

الأسلوب الثالث:- هو أن ُ يأتي الاستثناء فيه مفرغاً ،كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأعراف(١٢٦) ، أي وما تعيبُ منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها ،وهو الإيمان بآيات الله ، ونحوه قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٥٩) سورة المائدة ، فإنَّ الاستفهام فيه للإنكار.

واعلم أنَّ الاستدراك في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء كما في قول أبي الفضل بدیع الزمان الهمذاني :

هُوَ الْبَذْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرًا // سِوَى أَنَّهُ الضَّرْعَامُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ

وكقول الشاعر :

وَجُودٌ كَأَكْبَادِ الْمُحِبِّينَ رَقَّةً // وَلَكِنَّهَا يَوْمَ الْهِيَاجِ صُخُورٌ

٦ - تأكيدُ الذمِّ بما يشبه المدح

تأكيدُ الذمِّ بما يشبه المدح ضربان :

الأول: - أن يُستثنى من صفةٍ مدحٍ منفيةٍ عن الشيء، صفةٌ ذمٌّ بتقدير دخولها فيها - كقول الشاعر :

خلا من الفضل غير أني //////////////// أراه في الحمق لا يجارى

ونحو : لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقّه . ونحو: الجاهل عدو نفسه إلا أنه صديق السفهاء، ونحو: فلان ليس أهلا للمعروف، إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه .

الثاني: - أن يثبت لشيء صفة ذمّ، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء ، تليها صفة ذمّ أخرى، نحو: فلان حسود إلا أنه نمام، وكقول الشاعر :
هو الكلب، إلا أن فيه ملالة //////////////// . وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

وكقول الشاعر :

لئيم الطباع سوى أنه //////////////// جبان يهون عليه الهوان

وما أحسن قول بعضهم يصف قوماً بالبخل الشديد :

بيض المطابخ لا تشكو ولائدهم . //////////////// طبخ القدور ولا غسل المناديل

لا تأكل النار في مغنى بيوتهم . //////////////// . إلا فتائل سرج أو قناديل

٧ - الجمع :

تعريفه: هو أن يجمع المتكلم بين متعدّد، تحت حكم واحد وذلك:

أ - إمّا في اثنين، نحو قوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} سورة الكهف(٤٦)

فقد جمع بين المال والبنون، ونحو قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} سورة الأنفال(٢٨). فقد جمع بين الأموال والأولاد ، وقد ذكر هذا كثيرا في القرآن الكريم ، كالجمع بين الإيمان والعمل الصالح في أكثر من خمسين موضعا

ب - وإمّا في أكثر ، نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٩٠) سورة المائدة ، وكقوله تعالى : {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} سورة التوبة (٢٤) ، وكقوله تعالى : {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} سورة المائدة(٥٥) ، وكقول الشاعر :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاحَ وَالْجَدَّةَ // مَفْسَدَةٌ لِلْعَقْلِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ

وكقول الشاعر :

أَرَاؤُهُ وَعَطَايَاهُ وَنِعْمَتُهُ . // وَعَفْوُهُ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

وكقول ابن الرومي :

أَرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسَيُوفُكُمْ // فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ

فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ // تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رَجُومَ

٨ - الاقتباس والتضمين:

(أ) الاقتباس : هو أن يُضمَّن المتكلم منثورَه، أو منظومَه، شيئاً من القرآن، أو الحديث، على وجهٍ لا يشعرُ بأنه منهما؛ فمثاله من النثر " فلم يكن إلاّ كلمح البصرِ ، أو هو أقربُ، حتى أنشد فأغرب. " ونحو قول الحريري: " أنا أنبئكم بتأويله ، وأميّزُ صحيح القول من عليه".

وكقول عبد المؤمن الأصفهاني: " لا تُغرِّك من الظلّة كثرة الجيوش والأنصارِ ، {..إنّما يؤخّرهم ليومٍ تشخصُ فيه الأبصارُ} (٤٢) سورة إبراهيم .

ومنه قول الشاعر :

وثغر تنضد من لؤ لؤ
يلعبُ
بألباب أهل الهوى

إذا ما ادلهمت خطوبُ الهوى
يكاد سنا برقه يذهبُ

وكقول الشاعر الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا
وإن تبدلت بنا غيرنا ..
من غير ما جرم فصبر جميل
فحسبنا الله ونعم الوكيل

ونحو قول الآخر :

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم
يوم يأتي الحسابُ ما لظلوم
وأنكر بكل ما يستطاع
من حميم ولا شفيع يطاع
وكقول بعضهم :

إِنْ كَانَتْ الْعُشَّاقُ فِي أَشْوَاقِهِمْ . // // // // // جَعَلُوا النَّسِيمَ إِلَى الْحَبِيبِ رَسُولًا
فَأَنَا الَّذِي أَتَلُو عَلَيْهِمْ لَيْتَنِي . // // // // // . كُنْتُ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا

(ب) التّضمينُ :

هو أن يضمّن الشاعرُ كلامه شيئاً من مشهورِ شعرِ الغيرِ معِ التنبيهِ عليه
،إن لم يكن مشهوراً لدى نقادِ الشعرِ، وذوي اللّسنِ، وبذلك يزدادُ شعره
حُسناً، كقولِ الصّاحبِ بن عبادٍ :

أشكو إليك زماناً ظلَّ يعرّكني ... عرّك الأديم من يعدو على الزّمنِ
وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته . .. دهرأ فغادرني فرداً بلا سكنِ
هبتْ له رِيحُ إقبالٍ فطارَ بها // // // إلى السُّرورِ وألجاني إلى الحزنِ
نأى بجانبه عني وصيّرنِي // // // مع الأسي ودواعي الشّوق في قرَنِ
وباعَ صفوً ودادٍ كنتُ أقصرُهُ .. عليه مجتهداً في السرِّ والعلَنِ
وكان غالي به حيناً فأرخصه ... يا من رأى صفوً ودَّ بيعَ بالغبنِ
كأنّه كان مطويّاً على إحْنٍ // // // ولم يكن في قديمِ الدَّهرِ أنشدني
إنّ الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يالفهم في المنزلِ الخشنِ

وكقولِ الشاعرِ :

إذا ضاقَ صدري وخفتُ العدا // // // تمثلتُ بيتاً؛ بحالي يليقُ

فبالله أبلغ ما أرتجي /// وبالله أدفع ما لا أطيع.

٩- التوجيه:

لغة: توجه بمعنى ولى وجهه إليه أو وجاهًا: قابل وجهه بوجهه، والجمع: أوجه ووجوه ووجه النجم ما بدا لك منه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به، ووجه كل شيء: مستقبله وفي التنزيل العزيز (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ، ويقصد به الإقبال والانهمام ويقال:

وجهت الريح الحصى توجيهًا إذا ساقته،

- والتوجيه ويسمى "الإيهام": وهو أن يؤتى بكلام يحتمل على السواء معنيين متباينين، أو مضادين كهجاء ومديح ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه.

- وعرفه ابن جابر الأندلسي بقوله: "هو أن يكون الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كالمدح والذم، ومنهم من جعل منه احتمال الكلام لوجهين مطلقاً سواء كان مدحاً أو غيره، أو وجهين من غيره مختلفين، وإن كان المراد أحدهما".

- بعض الدارسين أطلق عليه المحتمل للضدين، وعرفه بقوله: "هو أن يكون الكلام محتملاً للمدح والذم احتمالاً متساوياً". وعرفه بعضهم بقولهم: "هو أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى، احتمالاً مطلقاً من غير تقيد بمدح أو غيره".

- وقد ورد ذكره في باب التورية، باعتباره أحد مسمياته، فنجد ابن أبي الإصبع قال في باب التورية: " ويسمى التوجيه، وهي أن تكون الكلمة تحتل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها، ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله".

- مثاله ما حكى عن محمد بن حزم: أنه هنا الحسن بن سهل مع من هنا بتزويج ابنته "بوران" للخليفة المأمون، فأثابهم وحرمه، فكتب إليه يقول: إن أنت تماديت في حرمانى قلت فيك بيتاً لا يعرف أمدح هو أو هجاء؟ فاستحضره وسأله عما كان منه فأقر، فقال الحسن: لا أعطيك، أو تفعل؟ فقال ابن حزم:

بارك الله للحسن ... ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ... ت ولكن ببنت من؟

فلم يدر "ببنت من" في العظمة وعلو الشأن، أم في الدناءة والضعفة، فاستحسن الحسن منه ذلك، وسأله: أمن مبتكراتك؟ فقال: لا، بل نقلته من شعر بشار بن برد، وكان كثير العبث بهذا النوع.

- ومما يروى عنه في ذلك: أنه كلف خياطاً أعور العين يسمى "عمراً" أن يخيط له قباء فقال له الخياط مازحاً: لأخيطنه، فلا تدري أهو جبة أم قباء؟ فقال له بشار: إذا أنظم فيك شعراً، لا يدري من سمعه: أدعوت لك أم عليك؟ فلما خاطه له على الصورة التي وعده بها، قال بشار:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء ١

قل لمن يعرف هذا ... أمديح أم هجاء

هكذا أخفى الشاعر مراده فلم يدر: أطلب أن تسوى العوراء بالصحيحة،
فيكون دعاء له بالإبصار الكامل أم طلب أن تسوى الصحيحة بالعوراء،
فيكون دعاء عليه بالعمى الكامل؟

حسن الابتداء:

هو أن يكون الكلام بارع المطلع أي: لمبدئه روعة تستهوي اللب،
وتستخف السمع، وذلك بأن يكون عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح
المعنى؛ لأن الكلام المبتدأ به أول ما يقرع السمع، أو يقع عليه النظر، فإذا
كان على هذه الصفات المذكورة وقع من قلب السامع أو القارئ موقعه من
الحسن، فأقبل عليه واهتم له، ووعاه إلى نهايته وإن لم يكن لباقيه من
الجودة ما لأوله. فإذا لم يكن مستهل الكلام على ما ذكرنا صدفت عنه
النفس ونفرت، وإن كان باقيه رائع الحسن.

وأحسنه ما اشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود، ويسمى ذلك "براعة
استهلال" كقول المتنبي في تهنة سيف الدولة بإبلاله مما ألم به:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزل عنك إلى أعدائك الألم

وكقول أشجع السلمي يهنئ ببناء قصر:

قصر عليك تحية وسلام ... خلعت ١ عليك جمالها الأيام

وكقول أبي تمام في مطلع قصيدة رثاء:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وينبغي أن يتجنب في مطالع المديح والتهاني ما يتطير منه، كقول ابن مقاتل الضرير في مطلع قصيدة يمدح فيها الداعي العلوي:

"موعد أحبابك بالفرقة ١ غد"

وعند إنشادها تطير العلوي وقال: بل موعد أحبابك يا أعمى، ولك المثل السوء. وروي أن ابن مقاتل هذا دخل على العلوي المذكور في يوم المهرجان ٢ فأنشده:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير به الداعي العلوي، وأمر بإلقائه على وجهه وضربه خمسين عصا، وقال: إصلاح أدبه خير من إثابته.

١١- حسن الختام:

أن يكون الكلام بارع المقطع أي: في ختامه روعة تهتز لها النفس، ويطرب لها السمع؛ ذلك أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن، ويرتسم في الخيال، فإن كان حسنًا هفت إليه النفس، واستلذه السمع، وقد يكون جابرًا لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، فإن لم يكن الانتهاء حسنًا رائعًا كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها، واستكراه السمع ومجه، وقد ينسي ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعته بالذم وإن كان حسنًا.

وصفوة القول: أن ما يختم به الكلام بمثابة الطعام، يؤتى به في ختام الأكلة، فإن كان حلواً لذيذاً أنسى مرارة أو ملوحة ما قبله، وإن كان مرًا أو مالحاً أنسى حلاوة أو عذوبة ما قبله.

ومثال ما في ختامه روعة قول أبي نواس في المدح:
وإني جدير "إذ بلغتكَ" بالمنى ... وأنت بما أملت منك جدير
فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور
وأروعه، ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف إلى ما وراءه،
ويسمى ذلك "براعة المقطع" كقول أبي العلاء:
بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل
وكقول ابن حجة:
عليك سلام نشره كلما بدا ... به يتغالى الطيب والمسك يختم
وكقولي في مدحة يوم عيد:
يا ناظم النجم كن "عوني" فقد عطلت ... أجياد غيدي وإن أبدعت تقليدي
ويا ملوك القوافي أستمحكم ... عفو الكرام فهذا كل مجهودي

١٢- الحذو:

اصطلاحاً: هو أن يكون البيت على صياغة البيت الآخر.

- ومنه ما قال سحيم:

فما بيضةً بات الظلیم يحفها ... ويرفعُ عنها جُوجوًّا متجافيا
بأحسن منها يوم قالت: أرائحٌ ... مع الركب أم ثاوٍ لدينا لياليا
قال: تبعه على هذا الحذو جماعة، منهم من قال:

وما قطرة من ماءِ مزنٍ تحلبت ... به جنبتا الجوديَّ والليلُ دامسُ
بأعذب من فيها وما ذقتُ طعمه ... ولكنني فما ترى العينُ فارسُ
-ومن ذلك لكثير:

وما روضةً بالحنِ طيبةُ الثرى ... يمجُ الندى جثائها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهناً ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها
- ومنه للأعشى:

وما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبلٌ هطلُ
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذا دنا الأصلُ
- ومن ذلك قول بعضهم:

ولم أرَ كالمعروفِ أما مذاقه ... فحلّو، وأما وجهه فجميلُ
أخذه الآخر فقال:

ومالي مالٌ غيرُ درعِ حصينةٍ ... وأخضرَ من ماءِ الحديدِ صقيلُ
وأحمرَ كالديباج، أما سماؤه ... فريان وأما أرضه فمحولُ
أخذه يزيد بن الطثرية فقال:

عقيلية، أما ملأث إزارها ... فدعص وأما خصرها فنحيلُ
- ومنه قول كثير:

وإني وتهيامي بعزة بعدما ... تولى شبابي، وارجحنَّ شبابها

لكالمرتجي ماءً بقفراء سبب ... يغرُّ به من حيث عن سراها
وقوله يحذو نفسه أيضاً:

وإني وتهيامي بعزة ما ... تخلتُ مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت
وأخذه جميل بن معمر فقال:
وإني وتطلابي بثينة بعدما
- . ولأبي تمام الطائي:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدوره ... وليسَ عليهم أن تتمَّ عواقبه
حذاه الشريف فقال:

وركبت أعجاز المطي بفتية ... أمثالهنَّ طوالع وغيوارب
غلب كأنهم الصقور حوائماً ... وكأنَّ أكتاد المطي مراقب
- . وله في موضع آخر:

فتى أعلقتُه عيانُ الفخار ... مكارم جاءت به المجد قبلا
أشمُّ كعالية السمهري، ... وهمته منه أعلى وأعلى
حذاه ابن الخياط فقال:

ومعترض بين الأسنة معرض ... وفي القلب من إعراضه مثل حجه
أغار إذا آنست في الحي أنه ... حذاراً وخوفاً أن يكون لحبه

- وينظر إلى قول المتنبي:

ويغيرني جذبُ الزمام لقلبها ... فمها إليك كطالبٍ تقبيلًا.

١٣- التناقض:

التناقض، هو إن يتناقض بين المعاني.

- ومنهما نجده مثلاً في قول مسلم:

ذكر الصبوح، فراح غير مفند ... وأقام بين عزيمة وتجدد

وقول أبي نواس:

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا ... وأمله ديكُ الصباح صياحا

قال ابن قتيبة: إن كل واحد منهما عاب على صاحبه التناقض، لأن بيت أبي نواس متناقض، لجمعه بين ارتياح وملل، ولأن بيت مسلم متناقض، لجمعه بين الرواح والإقامة، وعندي أنهما غير متناقضين ولا متباينين الارتياح إلى شيء والملل من غيره، وكذلك البيت الآخر فالرواح فيه والإقامة مجازان.

- ومن ذلك قول ذي الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى ... وضمَّ الثريا في ملاءته الفجرُ

ناقض لأن العود لا يزوي في الثرى. والثرى: التراب الندي، والذوى: اليبس. وقيل إن الفرزدق أصلحه، فقال: حتى ذوى العود والتوى ووافقه على ذلك أبو عمرو بن العلاء.

١٤- الفك والسبب:ك:

أما الفك فهو أن ينفصل المصراع الأول من المصراع الثاني، ولا يتعلق بشي من معناه.

- ومثله قول زهير:

حيّ الديار التي لم يعفها القدم ... بلى وغيرها الأرواح والديم
وكما قال المتنبي:

جللاً كما بي، فليك التبريح ... أغذاء ذا الرشأ الأغنّ الشيخ

فجمع بين العسف واللكنة والانفكاك، كما جمع زهير بين الفك والإكذاب.

- وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير أيضاً:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ... ضارب، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

ولهذا قال: خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.